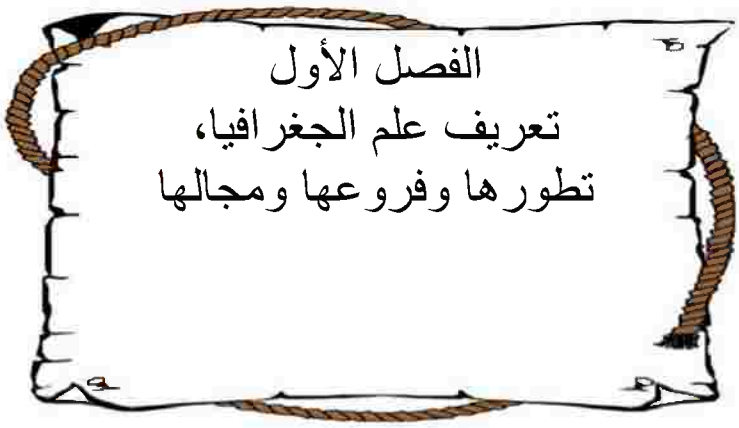

مقدمة :
أولاً : تعريف علم الجغرافيا
ثانياً : طبيعة الجغرافيا
ثالثاً : محتوى علم الجغرافيا
رابعاً : ميدان علم الجغرافيا
خامساً : أهمية علم الجغرافيا
سادساً : تطور علم الجغرافيا
سابعاً : الجغرافيا الحديثة وفروعها
ثامناً : الاتجاهات الحديثة فى علم الجغرافيا
تاسعاً : فروع علم الجغرافية الحديثة والمعاصرة

مقدمة :

تعتبر الجغرافيا علم من العلوم الاجتماعية و هي كلمة أصلها إغريقي مركبة من كلمتين هما " جيو Geo " و تعني الأرض، وكلمة "جرافيا Graphia " وتعني الكتابة، من هنا يتضح أن الجغرافيا هي علم الكتابة عن الأرض، و أول من أستخدم هذا المصطلح هو العالم الإغريقي " إيراتوستنيز " سنة ٢٤٠ ق .م .

و يكثر الجغرافيون من الحديث عن تعريف الجغرافيا و يختلفون في ذلك بسبب تعدد اهتمامات هذا العلم، وبما أنهم تجاوزوا الوصف المجرد إلى أمور تهتم بتعليل و تفسير الظواهر الطبيعية و الظواهر البشرية فقد أوردوا عددا من التعريفات لعلم الجغرافيا أشهرها " علم العلاقات المكانية " الذي يتمثل في تسريع الحركة و الانتقال للإنسان و"علم توزيع الظواهر الجغرافية" و" الاختلافات الإقليمية أو ما يسمى بالجغرافية الوصفية ".

أولاً : تعريف علم الجغرافيا

الجغرافيا علم قديم، عرفه الإنسان منذ نشأته الأولى على سطح الأرض حيث كان من الضرورى له أن يتعرف على المكان الذى نشأ فيه، والذى لابد له من معرفة خصائصه من معالم السطح والمناخ والنبات والحيوان الذى يعيش فيه وموارد المياه التى تتوفر به وذلك حتى يستطع أن يؤمن حياته ضد الأخطار والمخاطر.

أما المعنى الحرفى لكلمة جغرافيا، أو المصدر اللغوى الذى اشتقت منه هذه الكلمة فيرجع إلى لفظتين فى اللغة اليونانية القديمة وهما Ge بمعنى الأرض والتى أصبحت فى اللغة اللاتينية Geo وأما المقطع الثانى فهو Graphia بمعنى كتابة أو رسم أو صورة وبهذا يصبح معنى اللفظتين معا صورة الأرض Geographia والتى تحولت بعد ذلك فى اللغات الأوربية الحديثة إلى Geography فى الإنجليزية أو Géographie فى اللغة الفرنسية، وقد عرفها العرب بهذا الاسم بعد اتصالهم بالفكر والمعرفة اليونانية واللاتينية فكانوا يستخدمون مصطلح جغرافيا أو علم تقويم البلدان فى بعض الأحيان وذلك بعد أن ترجمت للعربية الكتب الجغرافية اليونانية فى القرون الأولى بعد ظهور الإسلام.

- **التعريف اللغوي:** اعتمد الفكر الجغرافي عند نشأته على يد الإغريق على الوصف، ولهذا يأتي تعريف الجغرافيا بأنها علم وصف الأرض اعتماداً على تعريفها المستمد من المصطلح الإغريقي Geo Graphia

ويعنى وصف الأرض (Geo أرض Graphs وصف)، وربما كان الجغرافي الإغريقي " هيكاتيوس Hecateus (٥٥٠-٤٨٥) " الملقب بأبي الجغرافيا هو أول من استخدم تعبير جغرافيا في القرن السادس قبل الميلاد، ومن ثم أصبح تعريف الجغرافيا في أبسط معانيها وصف الأرض.

- **التعريف الاصطلاحي : يمكن إيجاز تعريفات العلم عبر تاريخه الطويل فيما يلي:**

الجغرافيا علم وصف الأرض : أقدم التعريفات، وهو مستمد من المعنى الحرفي لكلمة جغرافيا، ويتمثل النقد الذي وجه إليه فيما يلي:

- جعل من الجغرافيا مادة وصفية فأفقدها الصفة العلمية.
- الجغرافيا الوصفية تهمل مبدأ السببية، ولا تهتم بالتحليل والتعليل لأنها تكتفي بتسجيل الحقائق فقط دون ردها إلى أسبابها.
- اقتصار الجغرافيا على مرحلة واحدة فقط من مراحلها وهي مرحلة جمع المادة العلمية ولم يتطور بها إلى مرحلتي المعالجة والتنظير.
- حول الجغرافيا إلى ما يشبه دائرة المعارف (Encyclopédie) مما حال دون الوصول إلى القواعد العامة والقوانين العلمية التي تقنن الجغرافيا علميا.

ومما سبق يتبين أن أفضل تعريف الذى جاء به " إيراستوثين " Erastothenes الإغريقى و الملقب بأبو الجغرافيا والذى وضح مفهوم الجغرافيا وتعريفها بتفسير مصطلح الجغرافيا Geography الذى يتألف من شقين هما Geo بمعنى الأرض Graphy بمعنى الوصف أى الجغرافيا تعنى وصف الأرض .

وقد جاء بهذا التعريف بناءً على كتابات من سبقوه من علماء الجغرافيا الإغريق خاصة هوميروس فى ملحمته التى تعرف بالأوديسا والتى شملت وصف عدة مناطق بإقليم البحر المتوسط، و كذلك كتاب "وصف الأرض " لهيكتاتيوس ثم كان امتداداً لهذا التعريف ما عرف بأن علم الجغرافيا هو علم الأماكن الذى يهتم بوصف الأرض ومواردها غير أن هذه التعريفات اعترض عليها البعض لأنها أفقدت الجغرافيا صفة العلم عندما اقتصرت على الوصف ومن ثم كانت ضرورة التوجه إلى تعريفات أخرى بالتحليل والتعليل فى تفسير الظاهرات الجغرافية وخاصة منذ بداية القرن التاسع عشر عندما وضع كل من " همبولت " Humboladt و " ريتر " Ritter أسس علم الجغرافيا، و من بين هذه التعريفات ما يؤكد أن

علم الجغرافيا هو علم العلاقات Relationships كما يشيرها " هارتسهورن " Hartshorne لتفهم العلاقة بين الإنسان والبيئة أو بين الظاهرات وبعضها البعض الآخر غير أن هناك بعض الاعتراضات على هذا التعريف الذى حدد الجغرافيا بالعلاقات دون غيرها من جوانب الدراسات الجغرافية العديدة، مما دفع "ميل " Mill بدوره إلى إيجاد تعريف آخر جديد للجغرافيا وهو علم التوزيعات Distributions ولكن مع عمومية هذا التعريف التى لا يفرق بين توزيع الظاهرات سواء الجغرافية منها أو غيرها فضلاً عن أن ظاهرة التوزيع قد تعنى بها العديد من العلوم الأخرى فقد سارع الجغرافيون بتعديل طفيف لهذا التعريف حتى يكون أكثر ملائمة وارتباطاً بالدراسات الجغرافية والذى تمثل فى أن الجغرافيا هى علم الاختلافات المكانية Areal Differentaition.

وهذا يعنى إبراز الاختلافات المكانية فى توزيع ظاهرات بشرية أو طبيعية وبما يؤكد أيضاً العلاقة المتبادلة أو التفاعل بين الإنسان والمسرح الجغرافى . و للتأكيد على ذلك الأمر كان إيضاح هذا التعريف بأن الجغرافيا تعنى بالتنظيم المكانى Spatial Organization وذلك من خلال مرحلتين الأولى تتمثل فى العمليات Processes والثانية تحدد بالأنماط Patternsوالتى يتحقق بهما فهم النظام أو الترتيب للظاهرات الجغرافية على سطح الأرض، الأمر الذى يتيح إبراز الشخصية المميزة للحيز المكانى ومن ثم تتحدد على ضوءها أقاليم التشابه والاختلاف، وحتى لا تبتعد الجغرافيا كثيراً عن نظرتها الكلية والشاملة للأقاليم والتى تكون فى مجموعها إطار المسرح الجغرافى وهو سطح الأرض بهدف إبراز التكامل بين أقاليم العالم المختلفة من خلال أوجه الشبه والاختلاف والعلاقات المتبادلة والتى تحقق نظام متماسك يبدو التنوع والاختلاف فيه من أهم أسباب وحدته والتكامل بين وحداته الإقليمية، وعموماً فإن التعريفات السابقة تعكس ولاشك بعض ملامح تطور اتجاهات الفكر الجغرافى ومدارسه المختلفة والتى سوف نتناولها فى الموضوعات اللاحقة.

ولا يقف مفهوم الجغرافيا عند الوصف فقط، ولكنه يمتد إلى التحليل والربط والتفسير أو التعليل، والبحث عن العلاقات والأسباب فمثلا لا نكتفى عند دراسة توزيع الجبال بمجرد معرفة أماكن وجودها ولكن لماذا توجد حيث هى ولا توجد فى مناطق أخرى، ويرتبط ذلك بتطور تاريخ الأرض من الناحية الجيولوجية، وكذلك نحن لا نكتفى بمعرفة توزيع مناطق زراعة القمح أو القطن وأين توجد هذه المناطق فى هذه الأماكن دون غيرها،

ويرتبط ذلك بمعرفة ما يحتاجه كل محصول منهما من ظروف التربة والمياه اللازمة للنمو ودرجة الحرارة المناسبة فى كل فصل من فصول نمو النبات، ومراحل تطوره، وكذلك مدى الحاجة إلى هذا المحصول من حيث الاستهلاك البشرى، وبنفس الطريقة نسأل عن مناطق توزيع البترول ولماذا يوجج فى هذه المناطق دون غيرها، ونبحث عن الأسباب وهى وجود حياه نباتية وحيوانية قديمة تعرضت لتكوين رواسب فوقها وتعرضت للضغط والحرارة عبر عصور جيولوجية وفى نوعية معينة من الصخور.

ومن أحدث تعريفات الجغرافيا ما يذكر على أنها العلم الذى يعنى بدراسة المكان أو الأشياء وأين توجد، ولكن تنبغى أيضاً الإشارة إلى تفسير وجود الأشياء، فالجغرافيا لا تسأل أين فقط ولكن لماذا أيضاً، أى لماذا توجد الأشياء حيث هى ولا توجد حيث لا توجد، ومن هنا يكون من الضرورى استخدام الربط والتحليل والتعليل أو السببية Causality بما يفسر وجود الأشياء أو عدم وجودها فى المكان.

كما ظهر على يد الجغرافى الأمريكى ريتشارد هارتشورن Richard Hart Shorne تعريف جديد للجغرافيا، حيث ذكر أنها علم التباين الأرضى Areal Dif-ferentiation حيث أنها العلم الذى يرتبط بمحاولة توزيع الظاهرات وتفسيرها، ولما كانت أجزاء العالم غير متماثلة فإنه توجد بها أنماط مختلفة تؤدى إلى ظهور تنوع يعرضه الجغرافى، ولو كان التماثل قائماً فى كل مكان على سطح الأرض لما كان هناك مجال لعلم الجغرافيا، ومن هذه الفكرة يظهر أن الجغرافيا تدعو إلى التكامل وأن ذلك يؤدى بدوره إلى السلام.

ومما سبق فقد تبين قد تطور مدلول كلمة الجغرافيا وتعددت تعريفاتها بين الباحثين مع مرور الزمن . وعلى الرغم من اختلاف التعريفات لعلم الجغرافيا إلا أنها واصلت تمحورها بصفه عامه حول دراسة الإنسان والأرض باعتبارها موطنا للإنسان وإدراك ما بينهما من علاقات توزيعا وتحليلا وتعليلا.

إن كلمة جغرافيا Geography التي نستخدمها اليوم عبارة عن كلمة إغريقية تعني (وصف الأرض) إذ أن جيو (Geo) تعني أرضا، و جرافيا (graphy) تعني وصفا. أي أن الجغرافيا هي وصف الأرض . وأول من استخدم كلمة جغرافيا هو العالم الإغريقي إيراتوستنيز (Eratosthenes) عام ٢٤٠ ق. م كعنوان لأحد مؤلفاته.

لكن هذا التعريف لم يرض الجغرافيين منذ القرن التاسع عشر الميلادي أمثال الجغرافي الألماني البارز آنذاك ريتر(Ritter) الذي اعترض على التعريف (وصف الأرض) وقال انه تعريف مضلل خاطئ وأضاف بان الجغرافيا هي " دراسة العلاقة بين كافة الظاهرات الطبيعية والجنس البشري" ، ومنذ أن بدا الاعتراض على هذا التعريف فتح الباب إمام تعريفات عديدة، مثل تعريف مارث (Marthe) الذي يقول الجغرافيا هي " أينية الأشياء "، ومن التعريفات التي لاقت رواجا كبيرا بين الجغرافيين لفترة طويلة تعريف هارتشورن (Hartshorne) والذي جاء فيه أن الجغرافيا هي " دراسة الاختلافات المكانية ".

تجمع قواميس اللغة ومعاجمها على أن الجغرافيا هي العلم المختص بدراسة سطح الأرض.

لقد تعددت التعريفات التي تحاول تحديد مفهوم الجغرافيا ومازالت تتراكم ، لكنها وحتى اليوم لم تتفق على تعريف واحد جامع مانع يحدد مجال الجغرافيا وطبيعته تحديداً دقيقاً، ويرجع ذلك بلا شك إلى اتساع مجال الدراسة الجغرافية ونمو هذا المجال باستمرار، ونستطيع صياغة التعريف التالي للجغرافيا :

الجغرافيا هي " دراسة شخصية المكان بملامحها الطبيعية والبشرية دراسة توزيع وتحليل وتعليل"

وحينما نخضع هذا التعريف للتحليل نرى بأنه يتميز بالخصائص الآتية:

- النظرة الكلية التي تدرك الواقع بجوانبه البشرية والطبيعية على اختلاف عناصر مكوناته وتفاعلها .
- إبراز شخصية المكان التي تعد من أهم ما يهدف إليه علم الجغرافيا، إذ إن لكل مكان شخصيته المختلفة التي تميزه عن غيره، ولولا هذه الاختلافات التي تميز بين الأماكن من حيث الظروف المتنوعة لما كانت هناك جغرافيا كما نعرفها حالياً .
- الاهتمام بالظاهرات الجغرافية من حيث التوزيع والتحليل والتعليل، وذلك لإدراك العلاقات بينها وهي أمر لا يرى بالعين المجردة بل يتم الوصول إليه عن طريق التحليل والتوزيع، ويعد إدراك العلاقات المكانية عن طريق التوزيع والتحليل والتعليل من أهم السبل لإبراز وحدة الكل الجغرافي الذي لا يتجزأ.

وقد خضعت الجغرافيا كغيرها من العلوم لكثير من التغيير والتطوير كما عانت أيضاً من اختلاف العلماء والمفكرين فى عدم التحديد الدقيق لتعريفها ووظيفتها ومفهومها، بل نجد أن لكل مجموعة من العلماء والمفكرين تعريفاً لعلم الجغرافيا، وهكذا تباينت الآراء والأفكار التي تعرضت لتحديد وتعريف علم الجغرافيا، ولذلك فإنه من الصعب اختيار أو صياغة تعريف واحد متفق عليه بين العلماء والمفكرين ولكن من الممكن استعراض مجموعة من التعريفات لهذا العلم على النحو التالي :

١- الجغرافيا علم وصف الأرض :

لعل تعريف الجغرافيا بأنها علم وصف الأرض هو أقدم تعريف لها، بل أنه التعريف المستمد من المعنى الحرفي لكلمة " جغرافية " Geography المشتقة من الجذور الإغريقية Geo بمعنى الأرض و Graphy وتعنى وصف، والمعنى الإجمالي هو وصف الأرض، ويتعرض هذا التعريف للانتقادات الشديدة وذلك لعدة أسباب منها :

أ- يجعل هذا التعريف من الجغرافيا مادة وصفية، ويفقدها الصفة العلمية . كما أن اقتصار الجغرافيا على الوصف من شأنه أن يجعل الجغرافي يتورط في تلمس الغرائب والعجائب والطرائف مما يباعد بينه وبين التحقيق والتدقيق في مادته .

ب- إذا كانت الجغرافيا في فترة من فترات تطورها المبكر قد اقتصرت على الجانب الوصفي فإن الحقائق والمعلومات الجغرافية لم تلبث أن تجمعت وتكدست . وكان من الطبيعي أمام هذا الحجم الكبير من الحقائق والمعلومات أن تتطور لتستخرج أنماطاً متشابهة من جهة ومتمايزة من جهة أخرى، ذلك أن المشاهدة والتسجيل وإن كانت ضرورة من ضرورات أي علم إلا أنها لا تمثل سوى مرحلة أولية من دراسة هذا العلم وهى مرحلة جمع المادة الخام التي تتلوها مراحل أخرى تقوم أساساً على التحليل .

ت- إن الأقتصار على الجانب الوصفي من شأنه أن يحول الدراسة الجغرافية إلى ما يشبه دوائر المعارف، ويحول دون التوصل إلى قواعد عامة وقوانين علمية تحكم الظواهر الجغرافية المختلفة، وبمعنى آخر يباعد بين الجغرافيا وبين تقنينها علمياً .

٢- الجغرافيا علم كوكب الأرض :

يقصد بتعريف الجغرافيا كعلم كوكب الأرض أنها العلم الذي يتناول بالدراسة الكرة الأرضية كأحد كواكب المجموعة الشمسية من جهة، كما يتناول دراسة الكرة الأرضية ذاتها حتى قشرتها من جهة أخرى . ومعنى هذا أن الجغرافيا تبعاً لهذا التعريف تضم أساساً جانبين من الدراسة أحدهما الجغرافيا الفلكية والرياضية، وثانيهما الجوانب الفوتوغرافية للأرض، ويرتبط أولهما ارتباطاً وثيقاً بعلم الفلك وعلم الرياضيات، ويرتبط ثانيهما بعلم الطبيعة الأرضية، و يعد جيرلند Gerland من أشد المتحمسين لهذا التعريف، وربما كان يهدف من هذا أساساً إلى إدخال الجغرافيا ضمن العلوم الطبيعية وذلك لتأكيد علمية الجغرافيا، ولإنقاذها من الإغراق من الجوانب الوصفية التي سادت فى الدراسات الجغرافية فترة طويلة من الزمن، وكذلك إهمال دراسة الجوانب البشرية وتأثرها بعناصر البيئة الطبيعية، ويتمثل النقد الذي وجه إليه فيما يلي:

- أصبحت الجغرافيا طبقا له علما طبيعيا خالصا يهمل دراسة الجوانب البشرية وتأثرها بعناصر البيئة الطبيعية الأصولية التى ترتبط بها .
- أصبح من الصعب وضع حدود بين الجغرافيا من ناحية والعلوم الطبيعية الأصولية التي ترتبط بها من ناحية أخرى.
- وقد أندثر هذا التعريف سريعا لقلة مؤيديه خاصة بعد انسلاخ العلوم الطبيعية كالفلك والطبيعة الأرضية عن الجغرافيا.

٣- الجغرافيا علم التوزيعات :

اقترح بعض الجغرافيين خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر تعريف الجغرافيا بأنها علم التوزيعات. غير أن هذا التعريف لم يلبث بحكم قصوره أن لقي نقداً شديداً من جغرافي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يتلخص فى :

أ- إذا كانت الجغرافيا علم التوزيعات فما حدودها ؟ إن كل شئ على سطح الأرض يقع بالضرورة في مكان، أي لكل شئ توزيعاً على سطح الأرض أو على سطح جزء من الأرض، ومعنى هذا أن الجغرافيا تبعاً لهذا التعريف تختص بتوزيع أي شئ بصرف النظر عن صلة هذا الشيء بالجغرافيا .

ب- أن تعريف الجغرافيا بعلم التوزيعات واختصاصها بتوزيع أي شئ، يجمع داخل نطاق الجغرافيا أشياء وظاهرات متنافرة مما يفقد الجغرافيا وحدتها، والمعروف أن الوحدة والتجانس بين الظاهرات التي يدرسها أي علم شرط أساسي لعلمية هذا العلم، وهذا يفتح المجال

لاتهام الجغرافيا بأنها علم مركب يضم خليطاً متنافراً من الموضوعات التي لا تعدو أن تكون أجزاء من علوم أخرى.

ت- أن تعريف الجغرافيا بعلم التوزيعات يسلب الجغرافيا كيانها المستقل عن العلوم الأخرى، ذلك أن التوزيع فى الحقيقة هو منهج علمي تستخدمه علوم كثيرة، فعلم الجيولوجيا يعنى بتوزيع الظاهرات الجيولوجية كالبراكين مثلاً، وعلم النبات يعنى بتوزيع الصور النباتية، وعلم الحشرات يعنى بتوزيع مختلف أنواع الحشرات ... وهكذا .

ث- وليس معنى هذا ألا يتعرض الجغرافي للتوزيع ذلك ن التوزيع هو نقطة البداية الحقيقية لدراسة أي ظاهرة جغرافية، كل ما في الأمر أن الدراسة الجغرافية هى أوسع وأشمل بكثير من مجرد توزيع ظاهرة ما أو مجموعة من الظاهرات توزيعاً مكانيا على الخريطة .

ويعد هذا التعريف من أقدم التعريفات فقد أقترحه بعض الجغرافيين في النصف الثاني من القرن ١٨، لكنه تعرض للنقد من قبل الجغرافيين بسبب ما يلي:

- أن لكل شيء توزيعاً على سطح الأرض فما هي الأشياء التي تدرسها الجغرافيا وما هي الأشياء التي تتركها.
- أن تعريف الجغرافيا بعلم التوزيعات يجمع داخل نطاقها ظاهرات متنافرة فتفقد وحدتها، والوحدة والتجانس بين الظاهرات التي يدرسها أي علم شرط أساسي لعلمية هذا العلم.
- تعريف الجغرافيا بعلم التوزيعات يسلبها كيانها المستقل بين العلوم، فالتوزيع منهج مستقل تستخدمه العلوم الأخرى .

٤- الجغرافيا علم الاختلاف الإقليمي

الواقع أن تعريف الجغرافيا بأنها علم الاختلاف الإقليمي يرتبط بتعريفها بأنها علم التوزيعات، ذلك أن التوزيع وإبراز الاختلاف إنما يرتبطان ببعضهما تمام الارتباط، بل أن التوزيع ينبغي ألا يكون هدفاً وغاية بل ينبغي أن يكون وسيلة لإبراز الاختلاف الإقليمي، ومعنى هذا أن التوزيع وحدة يعتبر دراسة جغرافية مبتورة وإن كان يدخل في صميم الجغرافية .

وقد استقر رأى الجغرافيين على أن إبراز الاختلافات الإقليمية هو من صميم اختصاص الجغرافيا وأنه الهدف الرئيسي الذي يسعى علم الجغرافيا إلى تحقيقه. وقد دعا هذا بعض الجغرافيين إلى تعريف علم الجغرافيا بأنه علم الاختلاف أو التباين الأرضي أو الإقليمي، ونتيجة لذلك زاد اهتمام الجغرافيين بالدراسات الإقليمية، وأصبحت الجغرافيا الإقليمية فرعاً أساسياً من فروع علم الجغرافيا .

ولا يقتصر إبراز الجغرافيا للاختلافات الإقليمية على ظاهرة جغرافية واحدة ولكنه تعداها إلى إبراز هذه الاختلافات في مجموعة من الظاهرات الجغرافية مجتمعة.

وبالتالي يصبح علم الجغرافيا هو ذاته العلم المكاني والذي تدور نظرية المعرفة Epistemology فيه حول تنمية المعرفة المكانية، ويستهدف البحث فيه الكشف عن التركيبة المختلفة للمكان في أوضاعها الراهنة، وأنماط هذه التراكيب عبر الأمكنة والأزمنة، والوقوف على التحولات التي تطرأ على هذه التراكيب العناصرية للمكان عبر الزمن لاستخلاص القوانين والميكانيزمات التي تنبئ بمستقبل هذا المكان أو الظاهرة أو ما يشبهها من أمكنة أخرى أو ظاهرات شبيهة، والوصول بهذه التراكيب المختلفة للأمكنة إلى حالة التوازن .

٥- الجغرافيا علم الاختلاف المكاني

بعد أن استقر رأي معظم الجغرافيين على أن إبراز الاختلافات الإقليمية هو من صميم اختصاص الجغرافي، وأصبحت الجغرافيا هي علم الكورولوجيا أو الكوروجرافيا عرف بعضهم علمهم بأنه علم الاختلاف أو التباين الأرضي أو الإقليمي، فازداد الاهتمام بالجانب الإقليمي من الجغرافيا وأصبحت الجغرافيا الإقليمية أحد وجهي العملة الجغرافية التي تمثل الجغرافيا الأصولية وجهها الآخر.

٦- الجغرافيا علم العلاقات (Relations)

ساد هذا التعريف لمدة ٥٠ سنة على الأقل في المدرسة الجغرافية الأمريكية والإنجليزية، حيث تم التركيز على فهم العلاقة المركبة بين الطبيعة والإنسان، وقد أزداد اهتمام الجغرافيين بدراسة العلاقات بين الظاهرات خلال النصف الثاني من القرن ١٩ ولإهمالهم الجانب البشري في الدراسة الجغرافية، ومن ثم يعنى الاهتمام بدراسة العلاقات زيادة الاهتمام بالجوانب البشرية بحكم أن العلاقات في الجغرافيا يقصد بها أساساً العلاقة بين الإنسان والبيئة، وتتلخص أوجه النقد الذي وجهت إلى هذا التعريف في أن:

- اعتبار البيئة الطبيعية هي العامل الجغرافي يجعل الجغرافيا مجرد دراسة تأثير البيئة على الإنسان (الحتمية البيئية)، فتصبح جغرافيا التأثيرات التي تهتم بدراسة الضوابط الطبيعية والاستجابات البشرية، جغرافية الفعل (الطبيعي) ورد الفعل (البشري)، جغرافية العلاقات البيئية البشرية التي إذا لم يجدها الباحث فقد يفتعلها.

- اقتصار علم الجغرافيا على دراسة العلاقات يفقدها وحدتها ويجعلها تتشابه مع العلوم الإيكولوجية الأخرى فتفقد بذلك شخصيتها المتميزة بين العلوم.

ثانياً : طبيعة الجغرافيا

يمثل علم الجغرافيا أحد الأركان الهامة فى المعرفة الإنسانية، وهو يشكل ركيزة أساسية للثقافة، فنحن فى حياتنا اليومية تتعامل مع الجغرافيا دون أن ندرى أحياناً، ففى نشرات الأخبار وفى الصحف والمجلات وفى مختلف وسائل الإعلام نسمع ونقرأ عن دول تقام بها احتفالات أو مناسبات عالمية مثل دورات الألعاب الأولمبية، أو زيارات يقوم بها المسئولون من دولة أخرى، أو نسمع عن وقوع ثورة أو انقلاب عسكرى وتغير فى نظام الحكم أو نرى ثورة لبركان أو حدوث الأعاصير والسيول أو الزلازل التى تدمر بعض مناطق من العالم، أو أن موجة الجفاف قد أثرت على كثير من الدول الإفريقية مما أدى إلى حدوث المجاعة بها، أو أن موجة حارة حدثت فى قطر ما أدت إلى إتلاف المحاصيل أو أن أسراب الجراد قد هاجمت الحقول فى منطقة من العالم، كل هذه الأمور وغيرها ترتبط على نحو أو آخر بالجغرافيا لأن كل تلك الأحداث وقعت فى أماكن معينة من الأرض فإذا تعرفنا عليها فنحن إذن ندرس الجغرافيا.

أما من حيث المضمون فيهتم علم الجغرافيا بفحص وربط وتنظيم وتقنين ظاهرات الأرض، فهو يدرس شكل وحجم الكرة الأرضية، وتحركات السطح، وتوزيع اليابس والماء، والتركيب الصخري للقشرة الأرضية، والعمليات التى تؤثر فى أشكال سطح الأرض والأحوال الجوية وما ينتج عنها من اختلاف فى أنماط المناخ، ويوجه اهتمامه كذلك لدراسة اختلاف الحياة النباتية والحيوانية وتوزيعاتها، إلى جانب دراسة السلالات البشرية التى عمرت سطح الأرض وتوزيع السكان والأنشطة المختلفة لهم . ذلك بالإضافة إلى المحلات العمرانية التى يقطنها . وباختصار تنحصر الجغرافيا فى دراستها فى دراسة مكان وسبب كيفية الأشياء، وتنسب إلى ايزياه بومان Isiah Bowman الجغرافي الأمريكي المشهور تلك العبارة الموجزة :" الجغرافيا تعرفنا ماذا وأين وكيف وما شأنه ".

ويختلف الباحثون فى عدد الموضوعات التى تنطوي تحت الجغرافيا، فقد تزيد عند البعض عن خمسة عشر موضوعاً، لكن هناك اتفاق أن علم الجغرافيا ينقسم إلى قسمين رئيسين : الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية، الجغرافيا الطبيعية تتناول دراسة سطح الأرض من حيث البنية

والتركيب والمناخ والنبات والحيوان من حيث تأثيرها فى الحياة الإنسانية . والجغرافية البشرية تتناول دراسة النشاط الإنساني فى البيئة والتفاعلات المتبادلة بين الإنسان والبيئة، ومن أقسام الجانب الطبيعي دراسة التضاريس ونظم التصريف النهري، ودراسة الموارد الأرضية والحياة النباتية والتربة. وينطوي تحت الجغرافيا البشرية عدة فروع مثل جغرافية السلالات البشرية وجغرافية السكان والمدن والجغرافيا الاقتصادية والسياسية. وكل نوع من أنواع الجغرافيا السابقة يتناول نشاطات الإنسان المتعددة فى بيئته .

و مع تطور مراحل المعرفة الجغرافية، كان تطور الفكر الجغرافى والتى معها تعددت تعريفات هذا العلم وفى نفس الوقت انعكست على تنوع المناهج والأساليب الجغرافية المستخدمة عند تناول الموضوعات والظاهرات الجغرافية المختلفة، و على الرغم من عدم اتفاق الجغرافيين على تعريف جامع مانع لعلم الجغرافيا إلا أن تعدد التعريفات تعنى غنى وخصوبة مجالات هذا العلم الذى يتسم بالديناميكية ويساير تطور العلوم ومتطلبات ومشكلات الإنسان على سطح الأرض وذلك منذ المرحلة الأولى البدائية وحتى الوقت الحاضر .

ثالثاً : محتوى علم الجغرافيا

للجغرافيا محتوى محدد وواضح، بعكس ما يتهمها به البعض بعدم وضوح محتواها، وعلى الجغرافي أن يفهم محتوى جغرافيته في وضوح تام حتى لا يرتبك عندما يبحث وينقب أي المعلومات يستقيها وأيها يترك...ولهذا المحتوى جانبان:

- **الأول طبيعي** : وقد بدأ أولا منذ جغرافية " كانت" و"كارل ريتر" و"الكسندر فون همبولت "، الذين كانوا يركزون على الظواهر الطبيعية وينهجون في دراستهم نفس المنهج العلمي البحت كالفيزياء والكيمياء، وهناك شبه إتفاق على محتوى الجغرافيا الطبيعية لأن عناصرها أكثر ثباتا واستقرارا من موضوعات الجغرافيا البشرية، ويشتمل هذا المحتوى على دراسة الصخور وأنواعها وترتيبها، السطح، المناخ، التربة، وأخيرا النبات الطبيعي .
- **الثاني بشري :** ويختلف الجغرافيون فيما بينهم على محتوى هذا الجانب، ويرجع ذلك إلى أن الاهتمام بالجانب البشري جاء متأخرا، ولأن الجانب البشري أكثر ديناميكية وحركة وأقل ثباتا واستقرارا، ومن هنا يختلف علماء الجغرافيا البشرية فيما بينهم من حيث محتوى علمهم.

- وإذا كان الجغرافيون متفقون على محتوى الجغرافيا الطبيعية ومختلفين على محتوى الجغرافيا البشرية فإن البعض قد وضح خمسة مبادئ يمكن الاستعانة بها لمعرفة محتوى الجغرافيا البشرية وهي:
- أن تكون الظاهرة أو الموضوع واضحا على الأرض أو يمكن رؤيته على الخريطة مثل الحدود الإدارية .
- أن تكون ظاهرة منتشرة في العالم ولكن بشرط التنوع والتغير بحسب الأمكنة (أنماط الزراعة أو أنماط السكان...إلخ).
- أن يكون بين هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر ارتباطات أو علاقات تبادلية .
- أن تتخذ الظاهرة المعنية حيزا معقولا في الأماكن أو المنطقة فمثلا لا يهتم الجغرافيون كثيرا بدراسة الممرات الضيقة في الأراضي الزراعية، لأنها موجودة في كل أنحاء العالم، ولكن يركزون اهتمامهم على الطرق الرئيسية لما لها من دور كبير في التقدم الاقتصادي محليا وعالميا.

رابعاً : ميدان علم الجغرافيا

إن ميدان علم الجغرافيا هو سطح الأرض، وهو في نفس الوقت ميدان ليس قاصرا على الجغرافيا وحدها، بل تشترك معها فيه عدة علوم أخرى تتفق فيما بينها على المناهج والوسائل التي تختلف من حيث الأهداف والغايات، ويرجع الفضل إلى "رسشتوفن" (١٨٨٣) في تحديد ميدان علم الجغرافيا تحديدا دقيقا بأنه الجزء الخارجي من القشرة الأرضية والذي أطلق عليه أسم Earth Surface.

يختص علم الجغرافيا بدراسة الظاهرات الموجودة على سطح الأرض، وهي الظاهرات التي تنقسم إلى ظاهرات طبيعية وأخرى بشرية، والظاهرة الطبيعية هي التي ليس للإنسان دخل في وجودها، كالسحب والجبال والغابات والأنهار والبحار وغيرها من الظاهرات المشابهة، وإن كان له دور في تغيير بعض خصائصها أو تعديلها، هذه التغييرات أو التعديلات هي الظاهرات الجغرافية البشرية، وعلى هذا الأساس يدرس علم الجغرافيا الأغلفة المكانية التالية :

- الغلاف الجوي (Atmosphère)
- الغلاف الصخري (Lithosphère)
- الغلاف المائي (Hydrosphère)

- الغلاف الحيوي (Biosphère)

وهذه الأغلفة الأربعة التي تشكل مضمون الجغرافيا الطبيعية، إذا أضيف إليها مجموع الظاهرات البشرية التي تدرس الإنسان ذاته وتوزيعه على سطح الأرض، ومراكز عمرانه البدوية والريفية والمدنية، وأنشطته الاقتصادية الأولية والثانوية والثلاثية والأطر السياسية التي تنظمه، فإن الناتج يمكن أن يسمى بالغلاف الجغرافي (Géosphère) .

خامساً : أهمية علم الجغرافيا

علم الجغرافيا مثل الماء والهواء في الأهمية لكل إنسان، والإنسان جغرافي بالفطرة منذ أن وجد أبونا آدم إلى الآن، بحيث تطور من حياة الجمع والالتقاط والصيد والقنص ثم الاستقرار والزراعة ثم الصناعة، وتطور سكنه من كوخ بسيط يتكون من جذوع الأشجار ثم كوخ من الخشب أو الجلد يقيه حر الصيف وبرد الشتاء، ثم منزل من الطوب اللبن ثم منزل خرساني وقرية صغيرة ثم بلدة ثم مدينة كبيرة، وهذا التطور الذي حدث للإنسان نتيجة لتطور معرفته الجغرافية للبيئة التي يعيش فيها بحيث يؤثر فيها وتؤثر فيه جغرافياً، ونتيجة لمعرفة الفصول وتغيير المناخ بها استطاع أن يغير ملبسه ومأكله، وهذا ما يقال عليه في الجغرافيا بالحتم البيئي وهذا باختصار يبين أن الجغرافيا فى دم الإنسان، والإنسان جغرافي بالفطرة .

وعلى ذلك تعتبر الجغرافيا على جانب كبير من الأهمية، فالجغرافية لم تعد ترفاً يمكن الاستغناء عنها، بل هى أساسية فى إعداد المواطن ليشارك بفاعلية فى بيئته، ويمكن للجغرافية أن تحقق ذلك من خلال ما تحققه للفرد من أهداف عدة، حيث تقدم للفرد المعارف والمهارات اللازمة لاستغلال البيئة وحل مشكلاتها، وكذلك ما تكسبه للفرد من عادات ذهنية تساعده على التفكير بطريقة علمية فى مواجهة ما يعترضه فى بيئته ومجتمعه، مع عدم إغفال الجوانب الوجدانية للفرد، لما لهذا الجانب من أهمية فى بناء الشخصية السوية .

إذ لم تعد الجغرافيا أوصافاً جافة لسطح الأرض وتقديرات مجردة عن عدد السكان وأرقام إحصائية عن الإنتاج، بل أصبحت اليوم موضوعاً يقوم على التحليل والتعليل ويرمى إلى اتخاذ دور إيجابي فى خدمة الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء، كما أن الجغرافيا لم تعد مادة للتسلية أو الوقوف على أخبار الشعوب وغرائب الحياة فى العالم، وهى ليست مجرد ثقافة أكاديمية أو تدريبات عقلية وإنما أصبحت دراستها ضرورة من

ضـرورات الحيـاة وعنصـراً أساسـياً مـن عناصـر التنميـة الاقتصـادية والاجتماعية.

وتتمثل أهمية الجغرافيا فى مجالين كبيرين هما :

أ- دراسة وتفسير الظاهرات المختلفة التى تحيط بالإنسان، وقد كانت الجغرافيا فيما مضى علماً وصفياً يهتم بتشخيص ووصف الظاهرات الجغرافيا ولكنها الآن تعدت مرحلة الوصف التى تتسم بها العلوم فى بدايتها إلى مرحلة استجلاء العلاقات التبادلية بين مختلف الظاهرات الطبيعية والبشرية للخروج بمبادئ وقوانين تحكم هذه العلاقات وتوجهها .

ب- إن الدراسات الجغرافية تميزت بالشمولية، والتوزيع، والتحليل، والتفسير بحيث عندما نتناول ظاهرة جغرافية مثل : المطر أو الزلازل أو السيول فنذكر أسباب حدوث هذه الظاهرة ثم نقوم بتحديد موقعها على الخريطة وتحليل أسباب هذا التوزيع ثم ننتهي بالنتائج لهذا التوزيع ونربط هذه الظاهرة بالظاهرات الطبيعية الأخرى المرتبطة بها والمسببة لها ثم ندرس تأثير هذه الظاهرة على الإنسان أو الظاهرات البشرية بصورة عامة، ثم نتناول إمكانية الحد أو التقليل من مخاطرها، أما عالم المناخ أو الجيولوجيا يتناول هذه الظاهرات لذاتها سواء لها علاقة بسطح الأرض أو ليست لها علاقة، حيث يركز على العوامل الديناميكية فقط التى تسبب حدوث هذه الظاهرة ولا يتعرض للتوزيع ولا الربط والتعليل والتفسير .

ت- استخدام نتائج الدراسات النظرية السابقة فى حل مشكلات علاقة الإنسان ببيئته، وبهذا تتفاوت مجالات الدراسة التطبيقية فى الجغرافيا من دراسة العالم كله، إلى دراسة المدينة أو القرية إلى دراسة مشروع صناعي أو تخطيط حي جديد فى المدينة، ولكن التخطيط الإقليمي يعتبر من أهم ميادين التطبيق التى تسهم فيه جميع فروع الجغرافيا الطبيعية والبشرية فى الوقت الحاضر .

ث- ومعنى ذلك أن الجغرافيا ذات قيمة نظرية وتطبيقية، ولم تعد الجغرافيا تقصر اهتمامها على الناحية النظرية، بل إلى تطبيق هذه المعرفة النظرية فى خدمة البيئة والمجتمع والإسهام فى حل مشكلاته .

سادساً : تطور علم الجغرافيا

١. الجغرافيا في العصور القديمة والوسطى :

منذ وجد الإنسان على سطح الأرض وهو يحاول معرفة خصائص المكان الذي يعيش فيه، والسبب في ذلك هو حب الاستطلاع الكامن في النفس البشرية التي ترنو دائما إلى معرفة المجهول، وقد كانت تلك الغريزة هي الأساس الأول لنشأة الفكر الجغرافي، وذلك عندما أخذ الإنسان في إعمال فكره فيما حوله من ظاهرات طبيعية وكونية، أو في إدراك اختلاف المظاهر من مكان إلى آخر أثناء تجواله وترحاله فيما حول مكان إقامته من مناطق، وقد نشأ هذا الفكر عندما حاول الإنسان تفسير هذه الظاهرات والمظاهر في ضوء معرفته المحدودة وقتذاك، وعندما وجد الإنسان نفسه منذ قدر له أن يعيش على الأرض محصوراً في عالم محدود محاط بفضاء مطلق وبظاهرات طبيعية غير قابلة للتفسير لصعوبة فهمها، كان لابد له كي يفسر سر وجوده في الحياة أن يخلق بفكره وشعوره عالما تقترب فيه الأشياء المعلومة من الأشياء المجهولة.

وقد بدأ علم الجغرافيا عندما بدأت المشاهدة والملاحظة كوصف للأرض ومظاهرها أو للكون وظواهره، ومن ثم يعتبر علم الجغرافيا أقدم العلوم جميعا لأنه نشأ مع بداية نشأة الإنسان علي سطح الأرض، ولهذا فإن أقدم المدونات عن اهتمام الإنسان بطبيعة العالم الطبيعي من حوله تشمل تأملات ملاحظات جغرافية.

ولم يقف طموح الإنسان الفكري ورغبته في المعرفة عند حد التعرف على مواقع وأشكال الظاهرات المكانية بل تعدى ذلك إلى محاولة التفسير (النشأة، الشكل)، ثم تطور الأمر إلى محاولة تفسير كيفية التوزيع (Distribution)، ولهذا نجد الجغرافيا المعاصرة تهتم بأمور ثلاثة هي: التوزيع والربط والتعليل أو التفسير .

وقد اختلفت درجة دقة التفسير حسب المستوى الفكري الذي بلغه الإنسان، فقد أعتمد هذا التفسير كثيراً علي الاجتهادات الشخصية والحكايات المروية التي حفلت بالعديد من الأساطير والخرافات منذ بدأ الفكر الجغرافي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي تقريبا، ثم مع إتباع المناهج العلمية والدراسات الميدانية والتحليلات المكانية والثورة الكمية، وصولاً إلى استخدام الحاسبات الآلية " الكمبيوتر" وشبكة المعلومات الدولية" الإنترنت " internet ونظم المعلومات الجغرافية (SIG) خلال القرن العشرين.

ويعتبر التحديد الشكلي لمجال الدراسة الجغرافية بجعله مقصوراً على سطح الأرض تحديد حديث نسبيا، إذ لم يكن هناك فصل عام معروف بين الفلك والجغرافيا منذ أقدم العصور وحتى القرن الثامن عشر، فطوال تلك الفترة كانت الكوزموجرافيا (Cosmographie)، تضم كلاً من الجغرافيا والفلك ولم يجر البحث عن تعريف دقيق للجغرافيا.

وقد ظل ميدان الجغرافيا طوال تاريخها وحتى القرن التاسع عشر يقتصر على النواحي الطبيعية فقط دون التعرض للجوانب البشرية، إلى أن ظهرت اتجاهات قوية نحو إدخال الإنسان في ميدان الدراسات الجغرافية الطبيعية وقتئذ، باعتباره جزءاً متمماً لطبيعة الإقليم، ومن ثم يكون الاتجاه الإقليمي في الجغرافيا والذي ظهر في كتابات "فارينيوس" في القرن السابع عشر هو الذي أعطى الفرصة لظهور الاهتمام الجغرافي بالإنسان ومن ثم ظهور إرهاصات الجغرافيا البشرية، وعندما قال" كارل ريتر" (Ritter ١٧٧٩-١٨٥٩) " أن مفهوم جغرافيا بمعنى وصف الأرض مفهوم خاطئ ومضلل" وأكد أن الجغرافيا كما يراها هو، هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة الأرض ككل موحد من حيث كافة المظاهر والظواهر مع إظهار العلاقات التي جعلت من ذلك الكل وحدة متميزة بذاتها، ثم إبراز العلاقة بين هذا الكل الموحد والإنسان، فإنه قد وضع قاعدة أساسية للدراسة الجغرافية هي دراسة العلاقة بين كافة الظاهرات الطبيعية والإنسان كما تسبب في إثارة جدل واسع حول ما إذا كانت الجغرافيا تشمل دراسة كوكب الأرض من كافة النواحي أم تقتصر دراستها علي سطح الأرض وحده، وقد انتهى الجدل باعتبار سطح الأرض فقط وليس كوكب الأرض من كافة نواحيه هو مجال الدراسة الجغرافية.

ولما كان أسلوب الدراسة الجغرافية يعتمد أساساً على ثلاثية : التوزيع والربط والتعليل وأن الوسيلة الفعالة في هذه الدراسة هي الخريطة، فإنه يمكن القول أن المرحلة الفكرية التي توافرت فيها هذه المقومات تمثل إحدى مراحل تطور الفكر الجغرافي أيا كان موقعها الزمني من هذا التطور.

وترجع الجغرافيا العلمية إلي العصور الحديثة ونعني بها الجغرافيا من حيث هي علم له أصوله وقواعده، فقد بدأت منذ القرن الثامن عشر وازدهرت وتطورت خلال القرن التاسع عشر عبر كتابات عديد من الفلاسفة والعلماء مثل إيمانويل كانت (Kant ١٧٢٤-١٨٠٤) والكسندر فون هَمبولدت (Humboldt 1769 –١٨٥٩) وكارل رِتر وأوسكار بشل (Peschel, O 1826–١٨٧٥) وفردريك راتزل (Ratzel, F. 1844-

(1904)، فهم الذين حصروا ميدان دراسة العلم وحددوا محتواه ومضمونه وكيفية جمع مادته العلمية وتنظيمها.

وقد تطورت الجغرافيا لتأخذ الصيغة العلمية، لأنه كان لابد لها من أن تنتظر ذلك التقدم الملحوظ في العلوم الطبيعية والاجتماعية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لأن هذا التقدم هو الذي وفر المعارف الأساسية بالأرض، فالجغرافيا تعتمد في مادتها الخام على نتائج هذه العلوم، كما أنها تعتبر حلقة وصل بين العلوم الطبيعية والاجتماعية ومن ثم فهي علم بيني، ولهذا فإن الجغرافيا تلعب دور حلقة الوصل أو الجسر الواصل بين العلوم الطبيعية والبشرية ومن ثم تقوم بإرجاعها إلي أصولها البيئية المختلفة فتربطها بأسسها الطبيعية.

كما إن منهج الجغرافيا الذي يتأرجح ما بين علم وفن وفلسفة، علم بمادتها فن بمعالجتها وفلسفة بنظرتها، نقلها من مرحلة المعرفة (العلم) إلى مرحلة الفكر (الفلسفة)، من جغرافية الحقائق المرصوصة إلى جغرافية الأفكار الرصينة، فهي تستخلص النظام من عدم النظام، تنظم حقائق المكان في الواقع المشاهد تنظيماً فكرياً فتمكن الدارس من النظر إليها وهي في صورتها غير المنظمة بمنظور فكري منظم، فالجغرافي هو الذي يدرك دون غيره من الباحثين أن نسب الأشياء وعلاقاتها وما بينها من ارتباطات هي حقائق كالأشياء ذاتها.

وقد شهد علم الجغرافيا تدهوراً واضحا خلال الفترة الرومانية رغم ظهر جغرافيين كبيرين من أصل إغريقي هما (استرابو وبطليموس) وقد قام الأول بتسجيل معلوماته الجغرافية في سبعة عشرة مجلداً تضمنت وصفاً جغرافياً إضافياً لأقاليم العالم المعروفة في عهده، أما الثاني فهو صاحب الكتاب الشهير الجغرافيا(Geographica)، وفي العصور الوسطى أسهم العرب والمسلمون في تطور علم الجغرافيا بالمحافظة علي التراث الجغرافي الإغريقي والإضافة إليه وتسليمه إلى أوروبا مع بداية عصر النهضة الأوروبية لتتخذ منه أساساً لعلم الجغرافيا الحديث، وأخذ الإنسان منذ تواجده على الأرض يعطى للظواهر الأسماء والصفات باللغة التي ينطق بها وظل الفكر الجغرافي في العصور القديمة يرتكز على دعائم ثلاث هي :

- الكشف الجغرافي الذي أدى إلى جمع كثير من الحقائق عن سطح الأرض .
- رسم خرائط ومصورات جغرافية للمناطق المعروفة .

- التأمل فى المادة والمعلومات التي جمعت .

وينظر للإغريق كمؤسسين لعلم الجغرافيا، وليس أدل على ذلك من أن كلمة جغرافيا كلمة إغريقية معناها وصف الأرض، ويرجع إليهم الفضل فى نشأة الجغرافيا وفروعها المتعددة، فالجغرافيا الرياضية نشأت على يد طاليس فى القرن السادس قبل الميلاد، كما أن الجغرافيا الطبيعية تقدمت بعض الشيء على حين أن الجغرافيا البشرية لم تنل عناية تذكر، وهذا الازدهار لعلم الجغرافيا على أيدي الإغريق لم يلبث أن شهد تدهوراً على أيدي الرومان.

ثم جاءت مرحلة العصور الوسطى واستطاع العرب والمسلمين أن يحافظوا على استمرار تقدم علم الجغرافيا وتطور الفكر الجغرافي، ولم يقتصر فضلهم على محافظتهم على التراث الإغريقي فحسب، ولكنهم أضافوا إلى الفكر الجغرافي إضافات جوهرية مهدت السبيل إلى النهضة التي شهدها علم الجغرافيا فى أوروبا فى مطلع العصر الحديث، سواء من حيث الجغرافيا الوصفية أو الجغرافيا الفلكية والرياضية وتقدم المفاهيم الجغرافية وفن الخرائط .

٢. نشأة الجغرافيا الحديثة

ولقد كان منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هو الفترة الحاسمة في تطوّر علم الجغرافيا، وذلك عندما أخذ هذا العلم كل معناه بانتقال ميدان دراسته من مرحلة الوصف إلى مرحلة جديدة تتسم باستيعاب الحقائق المكانية وفهمها بظهور أفكار كل من هَمبولدت ورِتر، فقد بدأت الجغرافيا الحديثة بكتاباتهما وأفكارهما، حيث لم تكن الجغرافيا قبلهما قد تحددت مفاهيمها أو اتضحت معالمها أو تحددت أهدافها.

ويعود السبب في اعتبار كتابات وأفكار كل من "همبولت" و"رتر" البداية الحقيقية للجغرافيا الحديثة التي أعطت لألمانيا الأسبقية في بلورة الأفكار الجغرافية وساعدت على نشوء اتجاهات جغرافية واضحة قامت عليها مدارس فكريّة أسهمت في إنماء الفكر الجغرافي وإثرائه لا سيّما المدرسة الجغرافيّة الحتميّة (Déterminisme)، إلا أن جغرافيي القرنين السابقين على كل من "همبولت" و"رتر" لم يحاولوا وضع مفهوم جغرافي يتضح من خلاله هدف يحدد معالم الطريق لكل مشتغل بالحقل الجغرافي، بحيث يحمى هذا المفهوم ذلك المشتغل من الانزلاق إلى حقول تخصصات علميّة أخرى ويمكّنه من التخصّص في زاوية من زوايا العلم فيصبح عمله متميزا على غرار العلوم الأخرى .

ولكنّ الحقيقة والإنصاف يوجبان الاعتراف لكل من : "بيرنارد فيرانوس"و" إيمانويل كانت" بأنهما قد أسهما في التطور الفكري للجغرافيا، فقد حاول "فيرانوس" بناء إطار جديد لمفهوم العلم عندما عَرف الجغرافيا بأنها ذلك القسم من المعرفة الذي يتكون من مزيج من الرياضيات التي تمكننا من وصف الأرض وأقسامها بطريقة كمية، وبهذا يكون قد أنتقل بالعلم من مرحلة الوصف إلى المرحلة الكميّة، كما أنه قد وضع الأسس الصحيحة لعناصر الدراسة الجغرافية بالتفرقة بين منهجيّ بحثها : العام أو الأصولي (Systématique) والخاص أو الإقليمي(Régional)، أي الجغرافيا العامّة الأصوليّة والجغرافيا الإقليميّة، أمّا "كانت " فقد أوضح مركز علم الجغرافيا بوصفها أحد ثلاثة طرق لدراسة الحقيقة هي:

- العلاقة بين الأشياء المتشابهة (العلوم الطبيعية)
- التطور عبر الزمن (علم التاريخ).
- الترتيب في المكان (علم الجغرافيا).

وبهذا تكون بذور الجغرافيا الحديثة قد وضعت مع ظهور أفكاره، خاصة عندما اختلفت الجغرافيا الطبيعية عنده عما كانت عليه قبله في أنها قد خلت من الجغرافيا الرياضيّة أو الفلكيّة وفي أنها قد أصبحت أساسا لدراسة الجوانب البشرية من الجغرافيا، ولقد تعرض علم الجغرافيا لشيء من الانتكاس عندما تعرّضت أفكار كل من "همبولت" و"رِتر" لبعض الانعكاس بظهور فكرة الازدواجية (Dualisme) التي فصلت بين ظاهراته الطبيعية و البشرية .

ويعزى الفضل في تطور العلم في القرن التاسع عشر إلى الجغرافيين الألمان وعلى رأسهم "همبولت ورتر" اللذان وضعا أسس الجغرافيا الحديثة، ومن ثم يكون لعلم الجغرافيا نشأتان إحداهما قديمة يونانية والثانية حديثة ألمانية لتكون بذلك علما أوروبي النشأة وإن كان عالمي الاهتمام .

غير أنه قبل الاستطراد في التأكيد على تاريخ ميلاد الجغرافيا الحديثة على يد الجغرافيين الألمانيين "همبولت ورتر" في القرن التاسع عشر ينبغي التأكيد على أهمية جغرافي ألماني آخر هو فارينوس والفيلسوف كانت، فالأول قسّم الجغرافيا إلى قسمين عام وخاص أو أصولي (Systématique) وإقليمي(Régional)، والثاني نزل بها من السماء إلى الأرض، فبعد أن كانت الجغرافيا قبله تهتم بالجوانب الفلكية والرياضية أصبحت عنده تهتم فقط بالظاهرات الموجودة فوق سطح الأرض

بل وتعد أساسا لدراسة الجوانب البشرية، وقد اتجه همبولت نحو الأصولية بينما اتجه رتر نحو الإقليمية مشكلين بذلك منهجاً جغرافياً كاملا.

ولقد جاء "راتزل" ليضع أساس المدرسة الجغرافية الحتمية، أو ما يعرف بالحتمية البيئية ويؤسس الجغرافيا البشرية، وفي المقابل ظهرت المدرسة الجغرافية الإمكانية في فرنسا على يد "فيدال دى لابلاش" (De La Blasch) الذي كان يرى أن البيئة ليست مظهراً أرضياً طبيعياً، بل مظهرا أرضيا حضاريا، وهذا المظهر الجغرافي هو في الواقع موضوع علم الجغرافيا، ويظهر شكل رقم (١) تطور الأفكار الجغرافية .

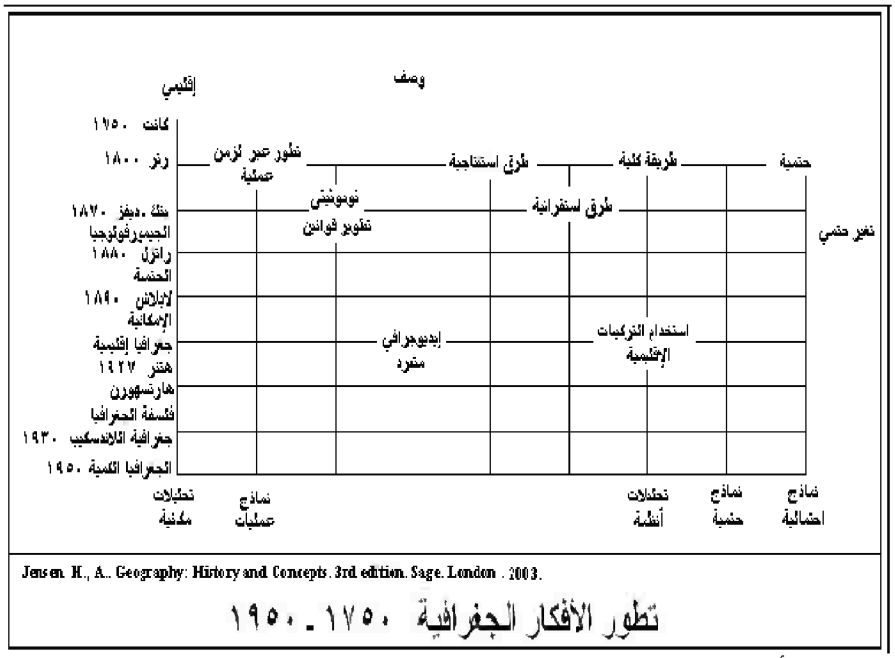

Jensen. H., A.. Geography: History and Concepts. 3rd edition. Sage. London . 2003.

تطور الأفكار الجغرافية ١٧٥٠ - ١٩٥٠

المصدر: أحمد محمد عبدالعال " نقاط التجديد في الفكر الجغرافي "، مجلة المجمع العلمى المصري، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٩ .

بدأت الجغرافيا تأخذ مكانها كعلم بين العلوم بفضل المدرسة الجغرافية الألمانية والى كل من كارل ريتر Karl Ritter وهمبولت Alexander Van Humboldt بصفة خاصة، وإذا كان ريتر وهمبولت من جغرافي القرن التاسع عشر إلا أن البذور الأولى لعلم الجغرافيا قد وضعت على يد الفيلسوف كانت Emmanuel Kant في القرن الثامن عشر، عندما قاده اهتمامه بنظرية المعرفة وفلسفة العلم إلى أن يجمع مادة لمصنف في الجغرافيا الطبيعية التي كانت تدور عنده حول محور إنساني، أما كارل ريتر Karl Ritter فقد اتجه فى البداية نحو الجغرافيا ليضع

أساساً لدراسة التاريخ، ولكن الجغرافيا لم تلبث أن احتوته وانصرف إليها تماماً بنشر كتابه الأول تحت عنوان " دراسة الأرض " الذي جعل منه أعظم جغرافي في عصره وأول أستاذ للجغرافيا في العالم "بجامعة برلين ".

وقد أخذ ريتر في دراسته بالمنهج التجريبي، كما أخذ بمبدأ السببية الذي يقوم على التعليل والتفسير . وقد دعا ريتر الجغرافيا بعلم الأرض بدلاً من علم وصف الأرض، لأن الجغرافيا عنده لم تكن مجرد تجميع ووصف للمعلومات والحقائق، ولكنها تحاول أن ترد هذه المعلومات والحقائق لأصولها الجغرافية . وفضلاً عن ذلك فإنها تحاول أيضاً إبراز الاختلافات الإقليمية، مستهدفة في النهاية إبراز شخصية الإقليم .

ومعنى هذا أن ريتر اتجه نحو المنهج الإقليمي وفى الوقت ذاته اتجه نحو المنهج البيئي وذلك بدراسة العلاقة والترابط بين الظاهرات المختلفة داخل الإقليم الواحد، وقد اهتم بدراسة الأرض باعتبارها معرضاً لقوى الطبيعة، وسكناً للإنسان، ومسرحاً لنشاطه، وأوضح أن الأرض والإنسان كليهما يؤثر في الآخر وانتهى من ذلك إلى أن تظل الجغرافيا والتاريخ متلازمين ويصعب الفصل بينهما .

أما همبولت فقد كان واسع المعرفة والدراية بعلوم كثيرة كالنبات والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء والتاريخ، كما قام برحلة علمية طويلة إلى أمريكا اللاتينية . وكان من الطبيعي أن تقوده معارفه المتعددة ورحلاته الطويلة إلى طرق باب الجغرافيا للربط بين هذه المعارف على أساس تجريبي .

وأخرج همبولت كتابه المشهور " العالم Cosmos " الذي يعد مسحاً تفصيلياً من الناحية الجغرافية . وإذا كان ريتر وهمبولت يتشابهان في آرائهما واتجاهاتهما نحو إعطاء الجغرافيا صفة العلم، إلا أنهما يختلفان عن بعضهما في أمر أساسي، هو أن ريتر اتجه نحو دراسة الأقاليم بينما نظر همبولت إلى العالم نظرة كلية، فكانت دراسته شاملة العالم ككل وقد قاده هذا إلى الاهتمام بالجغرافية الأصولية Systematic Geography، بينما اهتم ريتر بالجغرافيا الإقليمية Regional Geography .

والحقيقة أن آراء ريتر وهمبولت وأفكارهما في دراسة الجغرافيا تكملان بعضهما البعض الآخر وتشكلان مجتمعين منهجاً متكاملاً للجغرافيا . ولذلك يمكن القول بحق بأنهما وضعا حجر الأساس لعلم الجغرافيا .

٣. راتزل والحتم الجغرافي

اتجهت الدراسة الجغرافية بعد ريتر وهمبولت اتجاهاً واضحاً نحو الاهتمام بدراسة تركيب الأشكال الأرضية Geomorphology وبدأ هذا الاتجاه على يد بشل Peschel . غير أن أبرز معالم تطور الفكر الجغرافي جاء على يد راتزل Ratzel في أواخر القرن التاسع عشر حينما نشر كتابه الأول عن الجغرافيا البشرية Anthropogeography في عام ١٨٨٢، ثم اتبعه بكتابه الثاني في الجغرافيا السياسية . ويمكن تلخيص أفكار وآراء راتزل فى الدراسات الجغرافية فى اتجاهين :

- **أولهما** : وضع أساس الجغرافيا البشرية وعالجها على أساس أصولي لا إقليمي مؤكداً بذلك أن الجوانب البشرية يمكن أن تخضع للدراسة الأصولية المنهجية شأنها فى ذلك شأن الجوانب الطبيعية .
- **ثانيهما** : إسراف راتزل فى إخضاع الإنسان ونشاطه البشرى لتأثيرات البيئة الطبيعية، وبذلك كان الرائد الأول فى إحدى مدارس التفكير الجغرافى وهى مدرسة الحتم البيئي Environmental Determinism التى تتلخص أفكارها فى أن للبيئة الأثر الأكبر في حياة الإنسان الذى يخضع لسلطانها ويحدد نظم حياته تبعاً لما تمليه عليه ظروفها .

٤. المدرسة الإمكانية فى مقابل الحتم البيئي

نشأت على يد الفرنسي فيدال دى لابلاش، وهذه المدرسة لا تنكر أثر الظروف الطبيعية أو البيئة فى الإنسان ولكنها فى الوقت ذاته ترفض أن تكون العلاقة بينهما علاقة حتمية، وتؤكد حرية اختيار الإنسان من إمكانيات عديدة يختار منها ما يشاء، كما تؤكد استجابة الإنسان لظروف البيئة وليس خضوعه لها .

وكان من أشد المتحمسين للمدرسة الإمكانية أيضاً لوسيان فيفر الذى يعد كتابه عن " الأرض والتطور البشرى " إضافة للفكر الجغرافى فى هذا الصدد، فالإنسان فى رأى فيفر هو الذى يلعب الدور الأول فى مسرحية العلاقات الدائمة والوثيقة بينه وبين الطبيعة، فهو يستخدم ويتدخل فيها ليجعلها تخدم أغراضه .

٥. هتنر والاتجاه الإقليمي

يعد من أبرز الأعلام البارزين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، استطاع أن يرسى دعائم العلم ويستكمل لها صفتها العلمية .

والجغرافيا في رأيه ليست علم الأرض بل علم كورولوجية الأرض والمقصود بالكورولوجيا هى التباين الإقليمي، أى أن الجغرافيا تدرس العلاقة بين الطبيعة والإنسان فى إطار إقليمي، وهى تهدف بذلك إلى دراسة الأقاليم من حيث الوصف والتفسير والتحليل .

وقد ميز بين الجغرافيا العامة General Geography التى تختص بتوزيع الظاهرة الجغرافية على سطح الأرض، والجغرافيا الخاصة أو الإقليمية Special or Regional Geography التى تختص بدراسة الأقاليم الجغرافية .

وقد تطور علم الجغرافيا و تعددت فروعه فصار يهتم بدراسة الاختلافات المكانية على سطح الأرض، وتوزيع الظواهر الطبيعية و الظواهر البشرية، و دراسة العلاقات القائمة بينهما و تشخيص الاختلافات الإقليمية و دراستها .

كما أن الجغرافيا تمتاز بخصائص جعلتها في مصاف العلوم المهمة التي تحتاجها الدول في التخفيف من مشاكلها البيئية و التخطيطية المختلفة و كما أنها أيضا، أي الجغرافيا تتيح أسلوبا مثاليا للتفكير في حل المشكلات، لذلك فالجغرافيون مؤهلون بصفة خاصة لفهم التفاعل بين مختلف العناصر المؤثرة على المكان، بالإضافة إلى أنها تقوم بدراسة العمليات المسببة لجميع التوزيعات و الأنماط المشاهدة، ومن خلال هذا يتضح لنا أهمية المفهوم في الفكر الجغرافي الذي لازمه منذ نشأته، إلا أنه بقدر ما تطور المفهوم الجغرافي بقدر ما تطور معه المحتوى الجغرافي وهنا لا بأس من التذكير بتقسيم " Norman Graves " المتعلق بسُلم متدرج للمفاهيم الجغرافية حيث قسمها إلى فئتين :

- **الفئة الأولى :** هي المفاهيم الجغرافية التي تقوم على الملاحظة والوصف وهي بالتالي من المفاهيم المحسوسة مثل الظواهر والأشكال الطبيعية والبشرية القابلة للملاحظة والمشاهدة العينية مثلا التضاريس (جبال، هضاب، سهول) ، أو نشاط بشري أو اقتصادي (زراعة، مدينة، معمل)، إن هذه الفئة من المفاهيم الوصفية كانت ملازمة للفكر الجغرافي منذ ظهوره رغم كونها عرفت تطورات عبر الحضارات، فمفهوم الأرض مثلاً عند البابليين : ذات شكل منبسط، والمصريون القدامى اعتبروها طويلة الشكل تبعاً لطول وادي النيل إلى غير ذلك من الأمثلة.

- **الفئة الثانية :** وهي مفاهيم تقع في مستوى أعلى من التجريد بالنسبة للمفاهيم الأولى وتحاول أن تعطي مجموعة من التفسيرات والتعليلات لمجموعة من العلاقات التي تميز المفهوم وذلك تمشيا مع التطورات التي عرفها الفكر الجغرافي، فظهور النظرية المادية لكانت وديكارت اللذين أدخلا مبدأ السببية في العلوم الحديثة والبحتة، وظهور نظرية التطور لداروين وكذلك الاكتشافات الجغرافية الكبرى ساهم وبشكل مباشر في تطور المفهوم الجغرافي وجعله مسايراً للتطورات الحديثة.
- كما أن المفهوم في الجغرافيا الحديثة اعتمد على التفسير والتعميم فالتفسير يقتضي البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى وجود ظاهرة مجالية من حيث مورفولوجيتها ومكانها وحركتها. أما التعميم فيتجلى في تعميم المفاهيم ومبادئ وقوانين ونظريات التفسير عبر بناء "مفاهيم ومبادئ وقوانين ونظريات من أجل الرفع من مرودية الجغرافيا " ومن خلال هذا نريد أن نشير إلى أن الجغرافيا قد أخذت بعض المفاهيم من العلوم الأخرى خاصة العلوم المتشابهة سواء من العلوم الطبيعية، العلوم الاجتماعية أو الاقتصادية.
- وبهذا أصبحت تتوافر للجغرافيا بعض المفاهيم المختلفة باختلاف هذه الفروع العلمية، مما أدى إلى انقسام الجغرافيا بصفة عامة إلى جغرافية طبيعية وجغرافية بشرية وهذه الأخيرة بدورها تفرعت إلى مجموعة من الفروع كل فرع مستقل بمنظومة مفاهيم خاصة.

سابعاً : الجغرافيا الحديثة وفروعها:

يرى بعض الباحثين أن عصر الجغرافيا الحديثة بدأ في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي على يد العالم الألماني الكسندر فون همبولت الذي قام برحلات عديدة في كل من أمريكا الوسطى والجنوبية ووصف رحلاته في أربعين مجلداً، وبين في دراسته مدى العلاقة بين الإنسان وبيئته. وشاهدت الجغرافيا منذ القرن السابع عشر الميلادي انسلاخ عدد من موضوعاتها تحت أسماء مختلفة. ومن أوائل تلك الموضوعات علم الجيولوجيا وذلك في نهاية القرن السابع عشر، لكنها على الرغم من ذلك ظلت تمثل معيناً للجيومورفولوجيا، وكذلك انسلخ عن الجغرافيا علم المتيورولوجي Meteorology (علم الأرصاد الجوية)، وفي القرن التاسع عشر الميلادي استقل علم الاجتماع عن الجغرافيا، كما تبلورت علوم أخرى كثيرة مثل علم الاقتصاد.

نتيجة لانقسام الجغرافيا إلى فروع عديدة ظهرت المدارس الجغرافية مثل المدرسة الحتمية والمدرسة البشرية والمدرسة الإقليمية.

١- **المدرسة الحتمية** Determinism **أو البيئية** Environmentalism **أو الجيوقراطية** Geocracy: ترى هذه المدرسة بأن الأرض أو البيئة تتحكم إلى حد كبير في حياة الإنسان ونشاطه وسلوكه. وأن للأرض والمناخ سلطاناً كبيراً على الإنسان، ومن أنصار هذه المدرسة العالم الألماني همبولت وفريدريك راتزل الألماني وتلميذته مس الين سمبل الأمريكية. ويرى أنصار هذه المدرسة أو "البيئيون" أن الجغرافيا هي دراسة تأثيرات الظروف الطبيعية في السكان والنشاط البشري.

٢- **مدرسة التحكم البشري** Anthropocracy **أو مبدأ الإمكانية، أو الاختيارية والاحتمالية** Possibilism: تؤمن هذه المدرسة بأن الإنسان سيد ما حوله، وأنه يملك إمكانات التغيير في بيئته متى يشاء. وقد ناقشت هذه المدرسة آراء الحتميين وفندت بعضها. والإنسان في نظر المدرسة الاختيارية عامل جغرافي إيجابي يسهم في تعديل مظهر سطح الأرض، فلا توجد بقعة من الأرض لا تظهر عليها بصمات الإنسان. ولقد ظهرت هذه المدرسة في فرنسا ومن أهم مؤسسيها فيدال دي لا بلاش، وتنادي هذه المدرسة بأن الإنسان ليس عبداً للبيئة أو ألعوبة في يدها، وإنما يختار من بين إمكاناتها ويشكل منها كيفما يشاء بالقدر الذي يسمح له به مستواه الحضاري وكفاءته الجسمانية والعقلية.

٣- **المدرسة الإقليمية** Regionalism: حمل لواء هذا الاتجاه الحديث الجغرافيون الأمريكيون الذين كانوا لا يهتمون بدراسة البيئة لذاتها بل من حيث تأثير ظاهراتها في الإنسان والدراسة الجغرافية الإقليمية تهتم بدراسة التفاعل بين الظروف الطبيعية والبشرية، ولقد عرف برستون جيمس، وهو من أنصار المدرسة الإقليمية، الجغرافيا بأنها " تختص بدراسة الروابط والعلاقات بين مختلف الظاهرات لكي تبرز شخصيات الأقاليم المعينة والأمكنة عن طريق إظهار أوجه التشابه والاختلافات بينها "، وهناك مدارس جغرافية أخرى مثل المدرسة الإيكولوجية ومدرسة مظهر الأرض ومدرسة الموقع .

ثامناً : الاتجاهات الحديثة فى علم الجغرافيا

ويجدر بنا بعد عرض تطور الفكر الجغرافى وعلم الجغرافيا عبر العصور، أن نختم باستخلاص الاتجاهات الحديثة التى شهدها علم الجغرافيا خلال المائة السنة الأخيرة وأبرزها :

١. المرحلة القديمة (الاتجاه الموسوعي)

يتمثل فى جمع المعلومات والحقائق والملاحظات عن الظاهرات الطبيعية والبشرية في البيئة والتي سجلها الرحالة والمكتشفون . وكانت الصيغة الوصفية تغلب على الجغرافيا القديمة تبعاً لعاملين : أولهما الاتجاه الموسوعي الذي كان على الجغرافيا اتباعه والعامل الثاني إن العالم كان فى طور الاكتشاف لإرجائه الواسعة، ومن ثم كان اهتمام الجغرافي أن يلم بما يستجد من اكتشافات .

وكان الاتجاه المنهجى لجغرافية هذه المرحلة هو إبراز العلاقة بين الإنسان والبيئة، وكانت العلاقة بينهما فى اتجاه واحد، أى أن البيئة هي التي تحدد سلوك الإنسان الاقتصادي والاجتماعي، ولم يؤمن جغرافيو هذه المرحلة بتبادل التأثير بينهما إلا فى الفترة الأخيرة من هذه المرحلة (القرن التاسع عشر)، وإن كان حجم تأثير الإنسان في البيئة ضئيلاً فى البداية، وتنامت خبرة الجغرافي فى أواخر هذا القرن .

وجاء المنتج الفكري للجغرافي فى هذه المرحلة القديمة وصفياً للظاهرات الجغرافية، كما غلب عليها السرد والإطناب فى شرح وتفسير الظاهرة الذي خلا من المنطق أحياناً وداخلته الخزعبلات والأساطير أحياناً أخرى، وبتقييم هذه الشروح نجها غير حاسمة وقابلة للجدل وخلت من الصبغة العلمية في مجمل أمورها .

٢. الاتجاه التعليمي

دخلت الجغرافيا ميدان التعليم كهمزة وصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وقد أدخلت الجغرافيا كمادة تعليمية فى المدارس الابتدائية ومعاهد إعداد المعلمين بإنجلترا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن مناهج التعليم الثانوي لم تتضمنها إلا فى مطلع القرن العشرين . وكانت فرنسا وألمانيا اسبق من إنجلترا فى إدخال الجغرافيا كمادة تخصص، وقد كرس كثير من كبار الجغرافيين جهودهم لتشجيع تعليم الجغرافيا فى المدارس، وذلك عن طريق تأليف الكتب المدرسية، فضلاً عن المحاضرات العامة التى كانوا يحرصون على إلقائها لنشر الوعي الجغرافى بين المواطنين .

٣. الاتجاه الاستعماري

بدأ هذا الاتجاه فى الدراسة الجغرافية منذ سبعينات القرن التاسع عشر، واستمر طوال المائة سنة الأخيرة، وقد خرج الجغرافيين الأوروبيون، ولاسيما جغرافيو الدول الاستعمارية، من نطاق القارة الأوروبية إلى نطاق القارة الأفريقية نتيجة زيادة المد الاستعماري الأوروبي

لأفريقيا وخدمة للاستعمار وحكم المستعمرات، ثم تلا ذلك نشأة كليات جامعية فى أفريقيا تابعة للجامعات الأوروبية، تحول بعضها بالتدريج إلى جامعات أفريقية مستقلة أخذت على عاتقها القيام بدراسات جغرافية محلية .

وقد اختلف الوضع فى أمريكا إذ تركزت دراسات الجغرافيين الأمريكيين على بلادهم، وذلك لان أمريكا كانت فى شغل شاغل بتعمير الأرض الجديدة فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنها لم تدخل ميدان الاستعمار فى أفريقيا بخلاف الحال بالنسبة للدول الأوروبية الاستعمارية .

٤. الاتجاه نحو التعميم

ظهر هذا الاتجاه خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، وإن كان الجغرافيون قد اهتموا قبل ذلك بالتوزيعات العالمية لبعض الظاهرات الجغرافية مثل أنماط المناخ والنبات، ويعتبر هربرتسن Herbertson صاحب نظرية الأقاليم الطبيعية، وماكندر Machinder صاحب نظرية قلب اليابس فى الجغرافيا السياسية من رواد هذا الاتجاه .

٥. الاتجاه السياسي

ظهر هذا الاتجاه فى أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ـ ١٩١٨) وهى الحرب التى تمخضت عن إعادة تخطيط الخريطة السياسية لأوروبا، وكان من الطبيعي أن يدلى الجغرافيين برأيهم فى الحدود السياسية الجديدة، من حيث قيمتها الاستراتيجية وتمشيها مع الظاهرات الجغرافية، أو فى الوحدات السياسية الناشئة من حيث مقوماتها البشرية وإمكاناتها الاقتصادية، وبالتالي زاد الاهتمام بالجغرافيا السياسية فى تلك الفترة.

٦. مرحلة الاتجاه نحو التخصص

بدأ هذا الاتجاه يتبلور بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٢٩ـ ١٩٤٥)، ومازال سائداً حتى الآن، فبعد تكامل اكتشاف قارات العالم غدت المعرفة الجغرافية من الضخامة بحيث أصبح من العسير على الجغرافيين استيعاب هذا الكم الهائل من المعرفة الجغرافية المتراكمة، وخاصة بعد التغير الذي طرأ على أساليب البحث والمعرفة في العلوم البحتة التي أتاحت المعرفة المتعمقة للظاهرات الجغرافية بدلاً من المعرفة السطحية التي يتم جمعها عن طريق الرحلات .

وقد ظهرت علوم بحتة جديدة لها نظرياتها كالجيولوجيا وعلم المعادن وعلم التربة وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الهيدرولوجيا والتي عرفت بالعلوم الطبيعية البحتة، وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم السياسة

والتاريخ والتي تعرف بالعلوم الإنسانية البحتة، هذا فضلاً عن التخصصات التطبيقية والفنية والعلوم الهندسية وغيرها، وقد أتاح هذا الاتجاه نحو التخصص الأكاديمي واستخدام الأسلوب التجريبي بها إلى تعاظم المعرفة العلمية عن كل ظاهرة موضوع التخصص، وبالتالي تأثرت المعرفة الجغرافية التي تدرس نفس الظاهرة في البيئة .

وكانت التوزيعات الجغرافية للظاهرات المبحوثة في كل فرع هي بؤرة اهتمام الفروع الجديدة فى الجغرافيا، كما أبدت الفروع الجديدة اهتماماً بتباين العلاقة بين الإنسان والبيئة، وإن تغيرت النظرة لمن الغلبة فى التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة إذ أصبحت لصالح الإنسان فى نهاية الأمر .

وتمخضت عملية التخصص والتفرع فى الدراسة الجغرافية فى تلك المرحلة عن إتاحة الفرصة إلى التعمق فى تفصيلات الظواهر بالأمكنة، كما كان لإتباع مبدأ السببية Causality فى تفسير تلك الظاهرات أثره فى دقة التحليل والتفسير، فى نفس الوقت أثرى التجريب المعملي المعرفة السببية للظاهرات الجغرافية .

٧. الاتجاه التطبيقي

يعد هذا الاتجاه أحدث الاتجاهات التى استقر عليها علم الجغرافيا حتى الآن، وقد ظهر خلال بحث الجغرافيين عن هدف نفعي يسعون إلى تحقيقه عن طريق الجغرافيا، كما ارتبط أساساً بمبدأ التخطيط الذى ظهر أول ما ظهر فى الاتحاد السوفيتي سابقاً ثم لم يلبث أن انتشر فى كثير من بلاد العالم المتقدم، وقد استطاع الجغرافيون أن يثبتوا جدارتهم بما قدموه من دراسات المدن بعد أن تقم فرع جغرافية المدن، ومن دراسات للمناطق الريفية بعد أن تقدم فرع جغرافية الريف، وكان ما قدموه فى هذين المجالين خير معين لتخطيط المدن والريف Town and Country Planning، هذا فضلاً عن ظهور فكرة الإقليمية Regionalism والمسح الجغرافى للأقاليم مما ترتب عليه تمكن الجغرافيين من الإسهام الجدي فى التخطيط الإقليمي.

تاسعاً : فروع علم الجغرافية الحديثة والمعاصرة

جاء التخصص الجغرافي ليصور الحرص الذي يبديه الفكر الجغرافي الحديث، من أجل أكبر قدر من التعمق والإحاطة الموضوعية بكل ما من شانه أن يشترك أو يسهم في صياغة وتجسيد لصورة الواقع الطبيعي وإدراك خصائصه ومميزاته وتقصي الظاهرة البشرية على كل المستويات وتعميق المعرفة بالناس والوجود البشري وبالتالي الوصول إلى البحث الموضوعي الجيد.

تمثل الأرض مجال الدراسة الجغرافية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المقصود بالأرض هو سطح الأرض وما يرتبط به من ظاهرات طبيعية أو بشرية، وبمعنى آخر فإن الأرض التى يهتم على الجغرافيا بدراستها تضم عدداً من الأغلفة على النحو الآتى :

١. **الغلاف الصخرى** Lithosphere ويقصد به الصخور التى تتكون منها اليابسة على شكل قارات، كما يضم قيعان البحار والمحيطات وما تتركب منه صخور كل منها.

٢. **الغلاف المائى** Hydrosphere ويقصد به المحيطات والبحار والبحيرات والمسطحات المائية والمجارى المائية كالأنهار.

٣. **الغلاف الجوى** Atmosphere : ويشمل نطاق الهواء والغازات التى تحيط بالكرة الأرضية، وهذه الغازات لا رائحة لها ولا طعم وتتكون من غازات أهما النتروجين بنسبة ٧٨% والأكسجين بنسبة ٢١% تقريباً والأرجون بنسبة تقتل عن ١% وثانى أكسيد الكربون بنسبة ٠.٠٣% تقريباً إلى جانب عدد من الغازات الأخرى مثل الهيدروجين والأوزون، وترتبط هذه الغازات بالأرض بفعل الجاذبية ومعظمها يمتد إلى ارتفاع يتراوح بين ستة كيلو مترات، ٢٧ كيلو متراً من منسوب سطح الأرض ولا توجد أى غازات على ارتفاع ٦٠٠ كيلو متر، وهذا الغلاف يضم الهواء الذى تتنفسه الكائنات الحية إلى جانب أنه يؤثر فى المناخ من حرارة ورطوبة ورياح وأمطار.

٤. **الغلاف الجوى** Biosphere : وهو الذى توجد فيه مختلف صور الكائنات الحية سواء على اليابس أو فى الماء أو الهواء، وغالباً فإن هذا الغلاف يصل إلى ١١ كيلو متراً تحت مستوى سطح البحر وحوالى عشرة كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر.

ويلاحظ أن الأغلفة السابقة تشكل فى جملتها ما يدخل فى نطاق أحد شقى الجغرافيا الأساسيين وهو الجغرافيا الطبيعية، أما الشق الآخر من الجغرافيا فيشمل دراسة الإنسان وتوزيعه على سطح الأرض ومختلف صور تنظيمه للبيئة واستغلاله لها سواء على شكل مراكز عمرانية من مدن وقرى أو شبكات النقل والمواصلات والرى والنشاط الاقتصادى والتنظيم السياسى للأرض فى شكل دور.

والجغرافيا أصلاً علم تركيبى يأخذ من مختلف العلوم ويربطها بالأرض والنشاط البشرى فهو مثلاً يأخذ من علم الاقتصاد ما يخدم الجغرافيا الاقتصادية ومن علم الاجتماع ما يخدم الجغرافيا الاجتماعية ومن علم السياسة ما يخدم الجغرافيا السياسية ومن علم الجيولوجيا ما يخدم دراسة أشكال سطح الأرض (الجيومورفولوجيا) ومن علم النبات ما يخدم

الجغرافيا النباتية ومن علم الحيوان ما يخدم الجغرافيا الحيوية وهكذا، وتعرف هذه الفروع من الجغرافيا عادة باسم الجغرافيا الأصولية سواء كانت فروعا للجغرافيا الطبيعية أو الجغرافيا البشرية، أما إذا طبقت على منطقة ما أو إقليم ما فإنها عندئذ تعرف باسم الجغرافيا الإقليمية وذلك بدراسة كل عناصر الجغرافيا الطبيعية والبشرية فى منطقة متجانسة تعرف باسم الإقليم.

ترتب على سير الجغرافيا في العقود الأخيرة على درب العلوم الأصولية في الاتجاه نحو التخصصات الدقيقة ظهور أقسام وفروع جديدة أخذت تتكاثر بسرعة شديدة وتطالعنا بأسماء غريبة كجغرافية النمل والنحل، جغرافية الجوع والفقر، وهذا ما حدا بأحد الجغرافيين البارزين إلى القول " إن هناك جغرافيات أو تخصصات جغرافية بقدر عدد الجغرافيين ".

وتنقسم الجغرافيا تبعاً لمجال دراستها إلى قسمين كبيرين كما يرى معظم الجغرافيين وهما :

أ- **الجغرافيا الطبيعية :** وهي التي تدرس علاقة الإنسان بظاهرات السطح والظروف المناخية والنبات والحيوان والتربة وغيرها.

ب- **الجغرافيا البشرية :** وتدرس أثر الإنسان فيما يحيط به من ظروف بيئية وكيف استطاع أن يغير هذه الظروف ويستغلها لصالحه.

أما أهم الفروع أو الأقسام فى كل من الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية، ويظهر الشكل (٢) أن الجغرافيا تنقسم الجغرافيا إلى الفروع التالية :

أولاً : الجغرافيا العامة:

تتكون الجغرافيا العامة من شقين طبيعي وبشري، وهذان الشقان لا ينفصلان عن بعضهما بل يرتبطان معا ارتباطا وثيقا ولا غنى لأحدهما عن الأخر، ورغم هذا الارتباط بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية والذي يظهر في صورة التكامل بينهما إلا أن هناك اختلافات جوهرية وموضوعية تفرق بينهما شكلا وموضوعا .

أولاً : الجغرافيا الطبيعية

تتجه الجغرافيا الطبيعية إلى دراسة الظاهرات التي تنتشر على سطح الأرض والتي ليس للإنسان دور في ظهورها وتشكيلها وتوزيعها، وتعتمد في ذلك على العلوم الطبيعية الأصولية المقابلة لها وتستمد منها مادتها العلمية، وتهتم بدراسة مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان، شكل الأرض وأبعادها وعلاقاتها بالمجموعة الشمسية، عناصر المناخ، النبات الطبيعي، التربة، الغلاف المائي، طبيعة باطن الأرض وقشرتها، الأنماط التضاريسية

وعوامل تشكيلها الباطنية والظاهرية. باختصار تتناول الجغرافيا الطبيعية دراسة الأغلفة الأربعة للكرة الأرضية وهي الغلاف الصخري والغلاف الجوي والغلاف المائي والغلاف الحيوي، ومن خلال تعريفها تظهر فروعها، وهى تنقسم إلى الفروع الأساسية التالية :

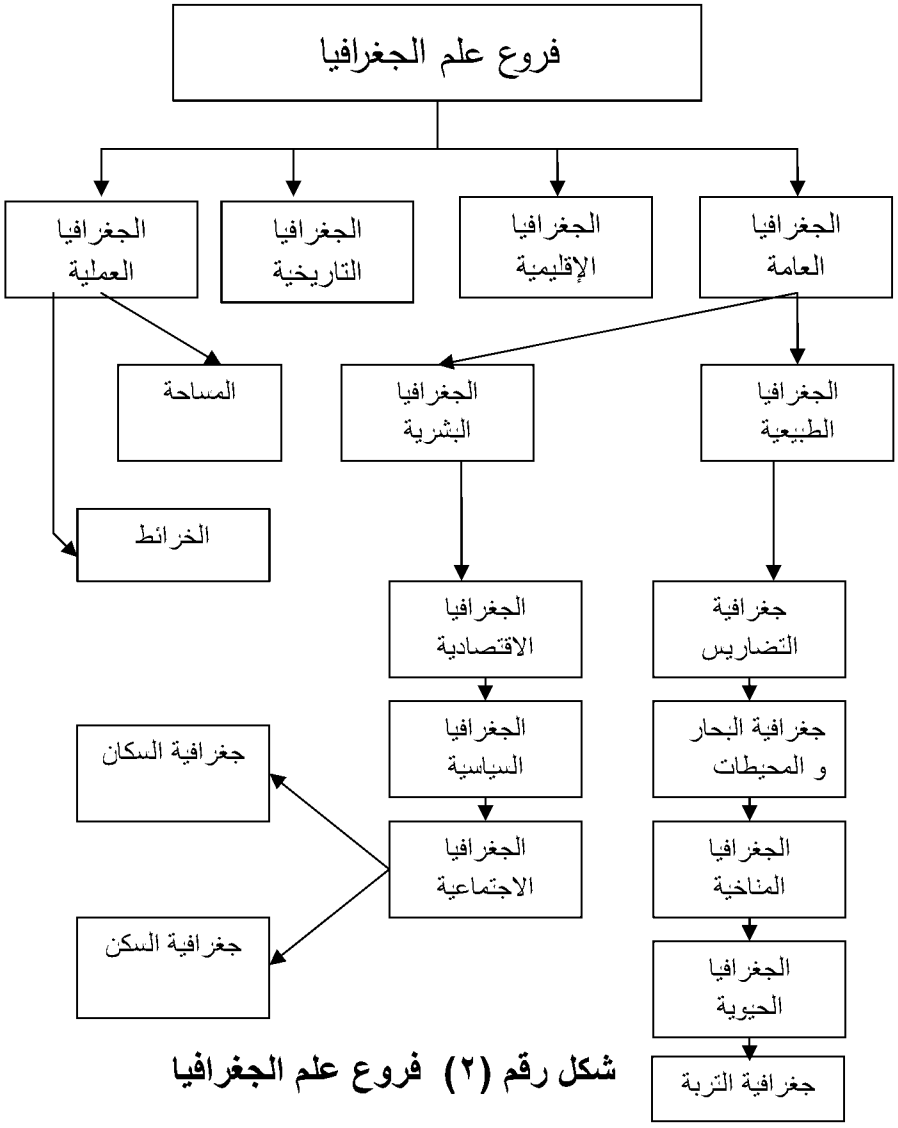

شكل رقم (٢) فروع علم الجغرافيا

- **جغرافيـــة الســـطح:** وتعـــرف أحيانـــاً بجغرافيـــة التضـــاريس، (الجيومورفولوجيا) : هي فرع من فروع الجغرافيا الطبيعية يهتم بدراسة أشكال سطح الأرض، ويدقق ويتمعن في تفاصيل الصور التضاريسية في أدق تفاصيلها وتحري العوامل التي تؤدي إلى تشكيل هذه التفاصيل الدقيقة، تعتمد على نتائج علم الجيولوجيا، علم المناخ، علم الكيمياء، والعلوم الطبيعية وغيرها حتى تتكشف له دواعي تشكيل السطح من خلال النحت والنقل والإرساب، والسطح إما أن يتكون من تضاريس موجبة أى ترتفع عن مستوى سطح البحر وتضم القارات والجزر، وإما من تضاريس سالبة وتشمل المسطحات المائية الكبرى وهى المحيطات والبحار المفتوحة وبذلك فإن جغرافية السطح تدرس كلا من الغلاف الصخرى والغلاف المائى، ويطلق على دراسة البحار والمحيطات اسمن الأشيانوجرافيا Ocea-nography (أو الأقيانوجرافيا) أما دراسة معالم السطح وأشكاله عامة فتعرف باسم :

- **الجيومورفولوجيا** Geomorphpology : وهو أحد فروع الجغرافيا الطبيعية ويدرس مظاهر سطح الأرض(الجبال، السهول، الأودية، الصحاري، السواحل) مع محاولة دراسة طرق تكوينها، كما يدرس العوامل التى تشكل سطح الأرض سواء كانت عوامل باطنية كالزلازل والبراكين أو عوامل ظاهرية مثل عوامل التعرية والنحت والإرساب وهى تتأثر بقوى كل من الجو وأثره أو المياه الجارية على شكل أنهار أو سيول، أو أثر الأمواج والتيارات البحرية على السواحل أو أثر الجليد فى النحت والنقل والإرساب، كما يدرس أشكال الوحدات التضاريسية والعمليات التى تحدث لها، سواء فى الماضى أو فى الحاضر.

- **جغرافية البحار والمحيطات** (Oceanography) **:** يدرس هذا الفرع من فروع الجغرافيا الطبيعية توزيع البحار والمحيطات على سطح الأرض، والعلاقة بين اليابس والماء وتطورها. كما أنه يحاول تتبع نشأة البحار والمحيطات، كما ويدرس كذلك الخصائص الطبيعية لمياه البحار والمحيطات من حيث الملوحة والتيارات البحرية، ويتتبع تأثير البحار في مناخ القارات، وأثر

البحار والمحيطات في نشاط الإنسان.تشمل دراسة تكوين البحار وما يخفى من التضرس السالب تحت سطح البحر، تفسر نشأة وتكوين الأحواض التي تحتوي البحار والمحيطات وقد يضيف إلى ذلك كله البحث عن الماء الذي يزخر به البحر ويصور خصائصه، عذب أم مالح.

- **جغرافية المناخ :** (Climatology) : تهتم الجغرافيا المناخية بدراسة حالات الجو بصفة عامة والخروج من هذه الدراسة بمتوسطات لعناصر المناخ من حرارة وضغط ورياح ومطر، كما تتناول دراسة عناصر المناخ مثل الحرارة والضغط والرياح والأمطار والعوامل المختلفة التي تؤثر في هذه العناصر كما تعتمد على علم المناخ وعلم الظواهر الجوية، وتدرس كيفية التغيرات المناخية ومدى تأثرها بالنشاط البشري، وهى تدرس الغلاف الجوى وأثره فى تشكيل العناصر المناخية المؤثرة على سطح الأرض من الضغط الجوى والحرارة والرياح والرطوبة والأمطار، ولا تكتفى الجغرافيا المناخية بعرض هذه العناصر وإنما تبحث فى أسباب حدوثها ونتائج ذلك وهى تفيد كثيراً من علم المناخ والمترولوجيا Meteorology أو علم الظواهر الجوية، ولهذا العلم كثير من الفوائد التى تخدم الزراعة والملاحة البحرية والجوية وحركة الإنسان عموماً، كما أن دراسة المناخ التفصيلى تفيد كثيراً فى دراسة الحركة السياحية نظراً لأن للمناخ أثراً كبيراً فى بعض العمليات السياحية وخاصة رياضات التزلج على الجليد والماء وحركة الاصطياف والمنتجعات ومناطق الشتاء الدفيئة، كما أن للمناخ أثره الكبير فى حركة الطيران والنقل عامة.

- **الجغرافيا الحيوية :** (Biogeography): وتهتم بدراسة الكائنات الحية من نبات أو حيوان وتوزيعها على سطح الأرض ومجال الدراسة فى هذا الفرع تشمل دراسة النبات الطبيعى فى جغرافية النبات، **كما** تعتمد الجغرافيا الحيوية على العلوم الأصولية المرتبطة بها فجغرافية النبات تعتمد على علم النبات Botany وجغرافية الحيوان تعتمد على علم الحيوان Zootogy وجغرافية التربة تعتمد على علم التربة Pedology غير أن هذه الأقسام من

الجغرافيا الحيوية لا تهتم بدراسة الظاهرات النباتية والحيوانية لذاتها ولكن تهتم بتوزيع هذه الظاهرات على سطح الأرض وأثرها وتفاعلها مع بعض البعض ومع بقية العناصر الجغرافية بما فى ذلك الإنسان وحياته الاقتصادية والاجتماعية. ثم تعمد إلى إظهار الفروق التى توجد بين مختلف أجزاء سطح الأرض مكون الأقاليم الحيوية من نباتية وحيوانية وتربة، وهى تهتم بدراسة :

- كافة صور الحياة النباتية الطبيعية أى التى لم يزرعها الإنسان ويدخل فى ذلك دراسة الغابات ومناطق الأعشاب والحشائش ونوعياتها وقيمتها وكيفية المحافظة عليها ومتطلباتها من حرارة ورطوبة أو أمطار لكى تستمر فى الوجود، كما تشمل دراسة الجغرافية الحيوية فى صورته الطبيعية أو البرية دون تدخل الإنسان، وتشمل أيضاً دراسة جغرافية التربة من حيث خصائصها ومكوناتها، ولهذا الفرع أهمية نفعية كبيرة نظراً للمتغيرات التى شهدها سطح الأرض، سواء للعوامل الطبيعية أو البشرية، وقد أدت هذه المتغيرات إلى مشكلات التصحر واختفاء بعض فصائل النبات أو الحيوان الطبيعى مما أحدث اختلالاً بالتوازن.
- مظاهر الحياة على سطح الأرض من نبات طبيعي أو حيوان، وتعتمد على علمي النبات والحيوان، ويقسم هذا العلم تقليديا إلى جغرافية نباتية وجغرافية حيوانية. يدرس الباحثون في الجغرافيا الحيوانية الأسباب التي أدت إلى توسع حياة حيوانات معينة في إقليم دون غيره كما يتطرقون إلى البحث في هجرة الحيوانات والعوامل التي تؤثر في تحركاتها، وكما يهتم أيضا بتوضيح دور التدخل البشري الذي بدأ يتعاظم خاصة منذ النصف الثاني من القرن العشرين في إحداث الكثير من التغييرات الحيوية وكانت سلبية في معظمها، حيث أحدثت الكثير من التدمير والتدهور للمحيط الحيوي حتى أصبحت صياغة المحيط الحيوي هدفا إستراتيجيا للمجمع الدولي خلال القرن الواحد العشرين.
- **جغرافية التربة :** تتناول توزيع الأنواع المختلفة من الترب في جميع أنحاء العالم، ويدرس الجغرافيون أنواع اختلاف التربة، وكيف تؤثر في نوع وكمية المحاصيل التي تنتج في منطقة ما

وكيف تتأثر التربة الزراعية بطرق الزراعة المستخدمة في كل منطقة وتعتمد على علم التربة.

- **موارد المياه** (Hydrology): العلم الذي يدرس الماء السائل أو الصلب في الكرة الأرضية خواصه ودورته وتوزعه على سطح الأرض أو تحته وفي الغلاف الجوي منذ لحظة سقوطه على الأرض (أمطار، ثلج) حتى عودته إلى الغلاف الغازي مرة أخرى من خلال عمليات البخر والنتح أو وصوله إلى المحيط .

ثانياً : فروع الجغرافيا البشرية:

تتمثل فروع الجغرافيا البشرية فى عدد من الفروع الهامة، غير أن هذه الفروع ليست موحدة فى مختلف المدارس الجغرافية، وبينما تتفق مختلف المدارس على فروع الجغرافية الطبيعية التى سبقت الإشارة إليها، فإنها قد تختلف بشأن تحديد فروع الجغرافيا البشرية، وتطلق المدرسة الجغرافية الأمريكية على الجغرافيا البشرية Human Geography اسماً آخر وهو الجغرافيا الحضارية Cultural Geography، كما أن المدرسة الجغرافية الروسية تقسم الجغرافية فى تصنيفها إلى قسمين كبيرين هما الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الاقتصادية ويتفق مفهومهم للجغرافيا الطبيعية مع المفهوم الأوربى والأمريكى أما الجغرافيا الاقتصادية فهى عند الروس تضم كافة فروع الجغرافيا البشرية، والتي تتناول دراسة توزيع المجتمعات البشرية ومدى التأثير المتبادل بينها وبين بيئاتها الطبيعية، والصور الإجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان مع بيئته المحلية، مثل توزيع السكان وأنماط العمران البشري ريفيا كان أم حضريا، كما تشمل دراسة النشاط البشري ريفيا كان أم حضريا، كما تشمل دراسته التركيب السياسي للدول كظاهرات جغرافية، تمثل مساحات من سطح الأرض لها حدودها الاصطناعية وإمكانياتها الاقتصادية والبشرية ،

تتناول الجغرافيا البشرية كل الانجازات التي توجد في المجال والتي هي من فعل الإنسان وتدخله، كالحقول والمنازل، المناظر الصناعية، الطرقات والسكك الحديدية والقنوات...الخ هي كلها ظواهر بشرية وتكون بدراسة المناظر أو المشاهد (paysages) سواء المباشرة أي على الطبيعة أو عن طريق الخرائط والصور الجوية،

لكون المنظر يعكس الترابط الموجود بين العناصر المشكلة له، وتعتمد على المعطيات الحضارية في تفسير جوانب الظاهرة البشرية الموجودة في المجال سواء كانت هذه الظاهرة عمرانية، ثقافية، صناعية أم خدماتية، ومن فروعها :

١- الجغرافيا الاجتماعية Social Geography

تبحث الجغرافيا الاجتماعية في العلاقات بين المجموعات البشرية، ويحاول الباحثون في الجغرافيا الاجتماعية تحليل كيفية تأثير هذه العلاقات الاجتماعية في الأماكن التي يعيشون فيها، وتتناول أيضا دراسة نمو وتوزيع السكان وأنماط العمران، وتوزيع المراكز العمرانية والظاهرات الحضارية البشرية **وتهتم بعدة نقاط:**

- حضارة الإنسان مع الإشارة إلى كون الحضارة ديناميكية مستمرة تجعلها تنتقل من مرحلة لأخرى.
- الحضارة والجغرافيا حيث العلاقة المتبادلة بين الإنسان والطبيعة.
- لغات البشر، وتعود أهمية اللغة العملية إلى كونها عامل الجماعة ووسيلة للتبادل والعمل.
- تهتم بالديانات البشرية مثل المسيحية والإسلام واليهودية والبوذية والهندوسية و توزيعها الجغرافي.
- تعنى بالمناطق الحضارية ودرجة تطورها الحالي مع أخذ التطورات التاريخية بعين الاعتبار .

وهناك من يقسم الجغرافيا الاجتماعية إلى فرعين هما جغرافيا السكان وجغرافيا السكن:

وهى تضم ثلاثة فروع ثانوية تدخل فيها وذلك على النحو التالى:

أ- **جغرافية السكان Geography of Population :** وهى تدرس نمو السكان والعناصر الداخلة فيه من حيث المواليد والوفيات والفارق بينهما أو الزيادة الطبيعية، تهتم بتوزيع السكان وتطورهم كما وكيفا من حيث عددهم وتوزيعهم وتكوينهم الجنسي والمهني، وتوزيعهم على فئات السن المختلفة في وقت معين، وحركة هذه العوامل جميعها في الزمن، وهو في هذه لا يأنف أن يستفيد بنتائج العلوم المتخصصة وطرائق الإحصاء من الإحصاءات الحيوية الاجتماعية والاقتصادية .

ب- كما تدرس الهجرة وأثرها فى نمو السكان، كما تهتم بدراسة توزيع السكان على إقليم جغرافى معين قد يكون العالم كله وقد يكون منطقة صغيرة كإحدى المدن أو القرى، وتدرس العوامل المؤثرة فى كل من نمو السكان وتوزيعهم، كما تدرس تركيب السكان من حيث النوع والعمر والمهنة والتركيب الاجتماعى للسكان من حيث الزواج والأسرة، كما تدرس أحياناً تركيب السكان من الناحية الدينية أو اللغوية أو السلالية إذا كان لذلك أثر فى العلاقات بين السكان، كما تدرس كان المدن والريف أو الحضر الذى يشملهما معا، إلى جانب دراسة البداوة التى قد لا يرتبط فيها السكان بالإقامة فى محلات عمرانية دائمة أو ثابتة، وإنما قد ينتقلون بصفة دائمة أو موسمية طلباً للمرعى والماء، كما تعرض لما أصاب مجتمعات البدو فى العصر الحديث من تطور فى أساليب الحصول على الماء أو تربية الحيوان، أو العمل فى الزراعة أحياناً.

ت- **جغرافية السكن (التخطيط الحضري والإقليمي)** : تدرس مراكز التجمعات العمرانية بدءا من القرية حتى المدينة، وتتناول نشأة هذه المراكز العمرانية وأسباب نموها والعوامل المؤثرة عليها، تضم الجغرافيا التي تهتم بدراسة التجمعات العمرانية في القرى والجغرافيا الحضرية التي تتناول دراسة هذه التجمعات في حواضر المدن وجغرافية السكن ذات صلة وثيقة بعلم تخطيط المدن والأرياف.

ث- **جغرافية المدن** Urban Geography : وهى تهتم بدراسة المدن من حيث مواقعها وخصائص الموضع أو البقعة التى يقوم عليها عمران المدينة من سطح ومناخ وموارد مياه وعناصر مشجعة للنمو أو معوقة أو مانعة له، كما تدرس شبكة العلاقات بين المدن وبعضها البعض من حيث التباعد والحجم أو العدد السكانى ومن حيث العلاقات الاقتصادية والاجتماعية كرحلة العمل والتركيب الاجتماعى والاقتصادى لسكان الأحياء الداخلية فى المدينة وعلاقات الريف والمدينة معا، كما تدرس استخدام الأراضى داخل المدن أو الوظائف التى تخصص لها الأرض فى أصغر مستوى ممكن ومدى تنظيم الإنسان لمناطق السكن والخدمات التى توجد فى المدينة ومدى كفايتها للسكان وأثر كل من نمو السكان والعمران على ذلك والعوامل المؤثرة فى كل من نمو المدينة ووظائفها

والروابط الإقليمية للمدن ووظائف المدن ومراتبها ويخدم ذلك كله تخطيط المدن.

ج- **جغرافيـة الريـف** Rural Geography : وهـى تهـتم بدراسـة المنـاطق الريفيـة وتعـرف القـرى ومراتبهـا وأنواعهـا واسـتخدام الأرض فى المناطق الريفية والعلاقات بين الريف والمدينة، وطرق النقل التى تخدم شبكة العمران الريفى والأثر الاقتصادى لكل من المدينة والريف على بعضهما البعض، ويخدم ذلك تخطيط الريف والتخطيط الإقليمى Regional Planning وقد تدرس جغرافية المدن وجغرافية الريف فى منهج واحد يعرف عندئذ إما بجغرافية العمران أو جغرافية السكن.

٢- **الجغرافيا الاقتصادية** Economic Geography

تتناول توزيع المواد المختلفة ومظاهر النشاط والنظم الاقتصادية والعادات والإمكانيات والقدرات المختلفة التي تساهم في الحصول على العيش، تشتمل الجغرافيا الاقتصادية على دراسة الصيد البري وصيد الأسماك والرعي والحرف والصناعات المرتبطة بالغابات والتعدين والصناعة والنقل والتجارة وكل أنواع الأنشطة التي يقوم بها الإنسان في العالم، ينتج عن ذلك إنتاج وتبادل واستهلاك سلع ذات قيمة وفائدة. ويبدو أن الجغرافيا الاقتصادية أكثر الفروع الجغرافية وضوحا وتحديدا وأوسعها ميدانا وأغناها مادة، فهي تهدف إلى دراسة موارد الثروة الاقتصادية من حيث الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والتبادل، مع تحليل وتفسير ظواهر أو عوامل التوزيع سواء كانت طبيعية وبشرية ودراسة الأنشطة الاقتصادية للبشر سواء كانت صناعة، تجارة أو زراعة، وهى تضم الفروع التالية:

أ-**جغرافية الزراعة** Geography of Agriculture

وهـى تعنـى بدراسـة الزراعـة ومـا يـرتبط بهـا مـن أنشـطة مثـل الرعـى التجـارى وتربيـة الحيـوان كمـا أنهـا تضـم أحيانـاً أنشـطة أوليـة أخرى غير مرتبطـة بالزراعـة مباشرة مثل صيد الأسماك وذلك على أساس أن الزراعة وصيد الأسماك تمثل أنشطة يتعامل فيها الإنسان مع الناتج من الزراعة أو الصيد مباشرة وقد تجمع فى هذه الحالة إنتاج الغابات الطبيعية أو المزارع العلمية الواسعة.

وتهتم جغرافية الزراعة بكل من إنتاج المواد الزراعية والحيوانية والعوامل المؤثرة فى ذلك، ومناطق الفائض ومناطق العجز فى الإنتاج وتسعى لتحليل ذلك وربطه بكل من العوامل المؤثرة فى الإنتاج والاستهلاك معاً من عناصر طبيعية كالتربة والمناخ وموارد المياه والسطح أو عناصر بشرية مثل كثافة السكان وأنماط استهلاكهم وعاداتهم ومستواهم الاجتماعى والاقتصادى.

ب- **جغرافية الصناعة** Geography of Manufacturing

وهى تهتم بتوزيع الصناعات القائمة والعوامل المؤثرة فى قيام الصناعة من طبيعية وبشرية ومرتبطة بالتنظيم البشرى كما تهتم بتحليل مواقع الصناعة وحركة كل من المواد الخام والقوى المحركة والعمالة ورؤوس الأموال إلى مواقع الصناعة وأثر السياسة الحكومية فى دعم الصناعة وتأثير التقدم العلمى والتكنولوجى فيها، كما تهتم بتصنيف الصناعة إلى صناعة ثقيلة وخفيفة أو صناعات إنتاجية واستهلاكية، وتدرس مجالات تسويق الإنتاج وشبكة العلاقات بين الصناعات التى تعتمد على بعضها البعض أو تغذى بعضها البعض والتخطيط الصناعى.

وفى بعض الأحيان قد يدخل النشاط التعدينى Mining ضمن الصناعة وذلك على اعتبار التعدين صناعة أولية أو صناعة استخراجية وهنا يدخل إنتاج المعادن التى تدخل فى العمليات الصناعية كالحديد والنحاس وغيرهما. كما تهتم بدراسة التلوث أو أثر الصناعة على البيئة، وهو من الموضوعات التى تطورت كثيراً فى السنوات الأخيرة.

ت- **جغرافية الطاقة** Geography of Energy

وهى تعنى بإنتاج الطاقة وتوزيعها، وتتناول مصادرها المختلفة من فحم وبترول وكهرباء مولدة من الوسائل الحرارية أو مساقط المياه، وكذلك الطاقة المتجددة مثل طاقة الشمس والرياح والأمواج والمياه والطاقة المستنفذة مثل البترول والفحم، والطاقات الجديدة مثل الطاقة النووية وطاقة الحرارية الأرضية وغيرها، وتعنى جغرافية الطاقة بدراسة الاحتياطى المتوفر من كل مصدر وتوزيعه عالمياً ومناطق الوفرة ومناطق الندرة وحركة الطاقة أو نقلها، كما تهتم

أحياناً بدراسة أخطار بعض مصادر الطاقة مثل الطاقة النووية أو التلوث الناتج عن استخدام أنواع أخرى مثل الفحم والبترول.

ث- جغرافية النقل والمواصلات

Geography of Transport and Communications

وهى تعنى بدراسة شبكات الطرق والنقل البرى والبحرى والجوى، ومدى كثافة هذه الشبكات واستخدام الإنسان لها ومدى كفاية هذه الشبكات، ومشكلات النقل وأثره فى تطوير الحياة الاقتصادية والبشرية، كما تعنى دراسة المواصلات بدراسة وسائل الاتصال من البرق والبريد والتليفون والراديو والتليفزيون والأقمار الصناعية والصحف ووسائل الإعلام المختلفة ومدى انتشارها وأثر ذلك على مستوى التقدم فى الأقطار المختلفة.

ج- جغرافية التجارة الدولية

Geography of International Trade

وهى تهتم بدراسة التنظيم الدولى للتجارة فى كل من المواد الخام ومصادر الطاقة أو المواد الصناعية، ومدى انسياب هذه التجارة بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك، والاتفاقيات الدولية التى تنظم التجارة والتعريفة الجمركية والعوامل المشجعة أو المعرفة للتجارة والتبادل التجارى وأثر النظم الاقتصادية والسياسية فى ذلك ومناطق السوق الحر أو الاقتصاد المفتوح ومناطق الاقتصاد الموجه.

ح-جغرافية السياحة Geography of Tourism

وهى تدرس على أكثر من مستوى، فإما أن تدرس الحركة السياحية فى العالم أو فى قطر من الأقطار، وأنواع السياحة المختلفة التى تدخل فى هذه الحركة من سياحة داخلية إلى دولية ومن سياحة النزهة إلى السياحة العلاجية أو الثقافية وغير ذلك من التقسيمات، كما قد تدرس جغرافية السياحة ما يتوفر لدى بعض الأماكن من مزايا تؤهلها للقيام بوظائف الجذب السياحى سواء كانت هذه المزايا متعلقة بالطبيعية كالمناظر أو المناخ أو مرتبطة بالتسهيلات لكل من الإقامة والانتقال والترفيه والترويج، ويدخل فى ذلك كله الطاقة الاستيعابية للفنادق وأماكن الإقامة ووسائل النقل والخدمات السياحية.

ويمكن تعريف السياحة بأنها حركة للأفراد أو المجموعات الذين يقضون عطلاتهم بعيداً عن أماكن إقامتهم المعتادة، ومن أجل جمع البيانات عن ذلك فإن هذا التعريف يمتد ليشمل أى أفراد يزورون مكاناً آخر يختلف عن المكان الذى يقيمون به عادة لمدة معينة تشمل قضاء ليلة على الأقل وذلك لأى سبب بخلاف العمل فى المكان الذين يقصدون زيارته، وبهذا المعنى يدخل فى السياحة كل من حضور المؤتمرات والحج.

وفى بعض الأحيان تفرق الدراسات بين كل من الترفيه أو الترويج Recreation والسياحة، على أساس أن الترويج قد يشمل أنشطة ترفيهية لمدة تقل عن ٢٤ ساعة بعيداً عن محل الإقامة بينما السياحة تمتد لتشمل فترة زمنية أطول ويتطلب استخدام شبكات للبنية الأساسية وتسهيلات للانتقال والإقامة.

وللسياحة مستويات أو أنواع مختلفة فمنها السياحة الداخلية التى ينتقل فيها السائحون داخل حدود مواطنهم الأصلية وفى مقابلها تكون السياحة الخارجية هى التى ينتقل فيها الأفراد عبر الحدود السياسية، ووسائل الانتقال سواء داخلياً أو خارجياً تمثل بعداً أو عنصراً جغرافيا، كما أن حركة السائحين من مكان لآخر تمثل عنصراً جغرافياً آخر، والانتقال من منطقة لأخرى يعنى انتقالاً من بيئة حضارية وثقافية إلى بيئة أخرى ومن وسط حضارى إلى وسط حضارى وجغرافى آخر ولابد من التعرف على كل هذه العناصر الجغرافية وبكل من السائحين والعاملين فى المجال السياحى فى الوقت نفسه، حيث أن ذلك يرتبط أحياناً بأنماط مختلفة من السلوك والعادات فى المأكل والمشرب والملبس والتقاليد والقيم والعادات الاجتماعية والدينية فإذا كان ثمة فوج سياحى قادم لمصر مثلاً من إحدى دول إسكندريناوة كالسويد أو النرويج فى فصل الصيف فإن ذلك يختلف كثيراً عن قدومه فى فصل الشتاء، ولابد من معرفة ما يناسبه من الملبس ودرجة الحرارة المنتظرة والتعرف على لغته وعاداته الغذائية، وكل ذلك يشكل أبعاداً جغرافية، كما أن قدوم فوج سياحى من الهند التى تدين بالهندوكية يعنى أنهم لا يأكلون لحوم البقر ولابد من مراعاة ذلك تماماً، كما يراعى عدم تقديم لحم الخنزير للمسلمين، ولعل الجغرافيا تقدم للسياحة خدمات أخرى تتمثل فى التعرف على خصائص المكان الجمالية من الناحية

الطبيعية كمناطق الشلالات أو البحيرات والشواطئ، وعلى المناخ من حرارة ورطوبة ورياح وأمطار، كل ذلك لابد أن يتهيأ له السائح بما يناسبه من استعدادات، كما أن وفرة وسائل النقل وأنواع الطعام وغير ذلك يدخل كله فى مجالات تتصل بالجغرافيا، وكما يفيد العاملون فى السياحة فى استقبال الوفود فإنهم يرسلون الوفود السياحية إلى أقطار أخرى ولابد من معرفة ما يتوفر فى هذه الأقطار من خصائص جغرافية ويقدمون النصح للأفواج التى تقصد هذه الأقطار فتنظيم رحلة إلى القطب الشمالى يختلف عن تنظيم رحلة إلى كينيا أو إلى الصحراء الكبرى.

ومعرفة بيانات عن الدول المختلفة من حيث السكان وعددهم ومستويات الدخول والعملة والإنتاج الاقتصادى، وكل ذلك يقدم أرضية طيبة للعامل فى مجال السياحة ويفيد مما تقدمه له الجغرافيا، كما أن الجغرافيا تقدم خدمة أخرى للسائح والعاملين فى مجال السياحة، وهذه الخدمة تتمثل فى الخرائط السياحية وفى كيفية قراءة هذه الخرائط والإفادة منها فى تنظيم الرحلات السياحية أو فى تنظيم برنامج السائح .

٣- الجغرافيا السياسية Political Geography

وهى فرع يعنى بدراسة التفاعل بين الإنسان والأرض من الناحية السياسية، فتدرس الوحدات السياسية أو الدول فى العالم، وتصنيف الدول طبقاً لمعايير القوة الاقتصادية والسياسية، وتدرس العناصر الجغرافية للدولة، وتدرس الأحلاف والتكتلات السياسة وعلاقات الصراع بين الدول وبعضها البعض ومشكلات الحدود السياسية، وتعطى دراسة الجغرافيا صورة عامة للعالم المعاصر وما مر به من أطوار، كما تدرس النظام الدولى من خلال المنظمات السياسية الدولية التى تعمل على حفظ التوازن الدولى ومدى نجاحها فى ذلك.

كما تهتم الجغرافية السياسية بدراسة العلاقات بين السلوك السياسي للإنسان وبين البيئة وإلى أي حد تتأثر الظروف السياسية للمجتمع بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان، وإلى أي مدى أثرت في هذه البيئة، وهي أيضا دراسة الاختلافات والتشابه بين الأقاليم السياسية التي تترتب على طبيعة الحكم فيها، ترتبط دراسة الجغرافيا السياسية

ارتباطا وثيقا بمعرفة علم السياسة والعلاقات الدولية، الإحصاء، الاجتماع ،القانون الدولي والاقتصاد وعلم النفس والأجناس، ولها منهجان، التحليل التاريخي في كثير من الدراسات التي تعرضت لتطور الوحدات السياسية والاجتماعية خلال الزمن والمنهج المورفولوجي يختص بدراسة الحجم والشكل للدولة والموقع والحدود وكذلك الأقسام المورفولوجية الداخلية الفرعية للدولة التي تشمل منطقة النواة أو العاصمة، الأقاليم الحضارية وإلى غير ذلك من الموضوعات. تدرس الجغرافيا السياسية كذلك الدولة كجزء من الأرض لها حدودها وموقعها الجغرافي بالنسبة لجيرانها ولها إمكانياتها ومقوماتها البشرية والاقتصادية، والمشاكل التي تتعرض لها مثل التغيرات في الحدود السياسية المشكلات السياسية وطرق الاقتراع .

٤- الجغرافيا الإقليمية

وتسمى بالجغرافيا الخاصة مقابلة للجغرافيا العامة، تتناول بالدراسة كل أو معظم العناصر الجغرافية لمنطقة أو إقليم مجتمعة من حيث تأثيرها على بعضها البعض، بغرض إبراز خصائص ذلك الإقليم أو شخصيته، تهتم الجغرافيا الإقليمية بدراسة جميع عناصر البيئة الطبيعية إلى جانب دراسة الإنسان ومظاهر نشاطه في إطار إقليمي، فهي بمثابة تجميع لكل فروع الجغرافيا السابقة طبيعية وبشرية داخل وحدة مكانية، تدرس إذا تضافر أحداث الجغرافيا العامة في خاصيتها الإقليمية فلكل منطقة طابعها الخاص.

تهدف الجغرافيا الإقليمية إلى تحديد شخصية الإقليم وإبراز التباين الإقليمي في الوحدة المكانية المختارة مثل "العالم العربي " أو "العالم الإسلامي " أو "إقليم البحر المتوسط "، وهي بذلك تؤكد مبدأ الارتباط بين الإنسان وبيئته بمعنى أن الجغرافيا الإقليمية تشمل العلاقات التأثيرية والتأثيرية على دراسة كل الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية في إطار مساحة معينة من سطح الأرض أو وحدة مكانية واحدة، وهي التي تمثل الجغرافيا الإقليمية وكلما كان الإقليم صغيرا كان محددا بدقة بينما إذا تضخم الإقليم كان التعميم.

كما أن التقسيمات العامة للجغرافيا إلى جغرافيا بشرية وطبيعية قد أثارت حفيظة بعض الجغرافيين أمثال الجغرافي الأمريكي الشهير بريستون جيمس الذي يقول إن علم الجغرافيا يختص بدراسة الإنسان وبيئته الطبيعية فلا تجوز دراسة هذا الإنسان بمعزل عن هذه البيئة الطبيعية كما أنه لا يجوز دراسة البيئة الطبيعية بمعزل عن الإنسان. وقد اقترح بعض الجغرافيين تقسيم علم الجغرافيا إلى:

- وتختص **الجغرافية الإقليمية (Regional Geography) :** وتختص بدراسة أي إقليم كوحدة جغرافية بحيث يكون هناك أساس للتقسيم الإقليمي، فيتميز الإقليم بخصائص معينة تميزه عن سائر الأقاليم الأخرى المجاورة له.
- أما **الجغرافيا الموضوعية (Systematic Geography) :** فتختص بدراسة موضوعات معينة مثل الجغرافيا السياسية أو الطبيعية أو الاقتصادية وغيرها.
- **الطبوغرافيا (Topography) :** الوصف أو الرسم التفصيلي للمكان (علم يختص في تمثيل كل تفاصيل الظواهر الطبيعية أو الاصطناعية لمنطقة ما موجودة على سطح الأرض).
- **علم الخرائط الكارتوغرافيا (Cartography):** فن إنشاء الخرائط ، والعلم المستند إليه هذا الفن ، ويشمل كل عمليات إنشاء الخرائط من المسح الفعلي في الحقل إلى طباعة الصورة النهائية للخرائط. (الموسوعة الجغرافية المصغرة)

٥- **الجغرافيا التاريخية** (Historical Geography):

ليست الجغرافيا التاريخية أحد فروع الجغرافيا الطبيعية أو الجغرافيا البشرية وإنما هي جغرافية الماضي بجوانبه الطبيعية والبشرية، أي أنها لا تقتصر في دراستها على الظروف الطبيعية للماضي فحسب، وإنما تهتم كذلك بدراسة النشاط البشري، ومجمل القول إن الجغرافيا التاريخية تضم في رحابها فروع الجغرافيا الطبيعية والبشرية، إذ إنها دراسات جغرافية كاملة طبيعية وبشرية ولكنها تتعلق بالماضي ومن هنا اكتسبت اسم " تاريخية "، تقابل الجغرافية التاريخية كل الفروع السابقة الطبيعية والبشرية والإقليمية مجتمعة، **وهى تختص بدراسة الظاهرة الجغرافية في زمن مضى :**

- دراسة تاريخ الجغرافيا كعلم.
- دراسة الكشوف الجغرافية.
- التعرض لتغيرات الحدود السياسية.
- تأثير البيئة الجغرافية على مجرى الحوادث التاريخية.

ويقسم بعض الجغرافيين جغرافيتهم إلى قسمين كبيرين هما جغرافية الحاضر (الطبيعية والبشرية والإقليمية) وجغرافية الماضي (الجغرافيا التاريخية) والتي هي في حقيقتها مجموعة من الجغرافيات وليست جغرافيا واحدة، وهي لا تتصل بعلم التاريخ وإنما يقصد بالتاريخ هنا الماضي، وللجغرافيا التاريخية منهجان أحدهما موضوعي والثاني إقليمي :

- يتمثل **المنهج الأول** : في دراسة ظاهرة جغرافية ما في الزمن الماضي، إما دراسة ثابتة (كدراسة سكان دولة ما في فترة زمنية محددة)، أو متحركة (دراسة سكان دولة ما في فترات زمنية متتالية كلها في الماضي).
- أما **المنهج الثاني** : فيتمثل في دراسة الأوضاع الجغرافية لمنطقة إما دراسة ثابتة (كدراسة دولة ما دراسة عامة في فترة زمنية محددة)، أو متحركة (دراسة دولة ما في فترات زمنية متتالية كلها في الماضي).

٦- جغرافية السلالات البشرية

(Geographical strains of human):

هي أحد فروع الجغرافيا البشرية، وكانت تهتم بدراسة السلالات البشرية المختلفة وخصائصها وهجراتها. إلا أن هذا الفرع لم يعد يدرس في كثير من جامعات العالم لاهتمامه بأمور تخرج عن نطاق الجغرافيا مثل القياسات المختلفة من حيث حجم الرأس وشكله وفصائل الدم وغيرها.

٧- الجغرافيا العملية (المساحة والخرائط)

لا تدخل تحت أحد الموضوعين البيئة والإنسان، بل تمثل الجانب العملي في الجغرافيا، ذلك الجانب المرتبط بعمليات الرصد والقياس والتسجيل، أي الخروج إلى الميدان لرصد الظاهرة الجغرافية

والتوجه إلى العمل الميداني، أي إعداد الخرائط والرسوم البيانية والصور الجوية والفوتوغرافية وإعداد الخرائط من شأنه أن يسجل البيانات الجغرافية الطبيعية أو البيانات الجغرافية البشرية التي تعطي حسن التعبير عن الظاهرة الجغرافية أو الموضوع الجغرافي، كذلك ترتبط الجغرافيا العملية ارتباطا وثيقا بكيفية تمثيل الظاهرات البيئية على الخرائط، لأن عملية التمثيل ذاتها لا بد أن تمر بمراحل قياسية متعددة تستخدم فيها أجهزة مختلفة قبل أن تبدو في صورتها النهائية على الخريطة، إذ لابد من معرفة توجيه الظاهرة واختيار وحدة لقياسها ومعرفة حجمها ومساحتها، ثم معرفة كيفية تمثيلها وتحديد مواضعها ومواقعها وغير ذلك من العملية الجغرافية التي تتطلب حسابات دقيقة، الأمر الذي جعل كثير من الجغرافيين يربطون دائما بين الجغرافيا العملية والخرائط.

ويستخدم الجغرافي وسائل معينة مثل الكرات الأرضية والرسوم البيانية المختلفة كي تساعده في تحقيق عمله، واستخدام هذه الوسائل يرتبط بمعرفة كيفية إنشائها وصناعتها وهذا ما تقدمه الجغرافيا العملية.

٨-التغيرات الحديثة في المحتوى الجغرافي

"كان منتصف القرن التاسع عشر الميلادي هو الفترة الحاسمة في تطور علم الجغرافيا، وذلك عندما أخذ هذا العلم كل معناه بانتقال ميدان دراسته من مرحلة الوصف إلى مرحلة جديدة تتسم باستيعاب الحقائق المكانيّة وفهمها، بظهور أفكار كل من: هَمبولدت ورتر، فقد بدأت الجغرافيا الحديثة بكتاباتهما وأفكارها، حيث لم تكن الجغرافيا قبلهما قد تحددت مفاهيمها أو اتضحت معالمها أو تبينت أهدافها.

إن التطورات الحديثة التي شهدها العالم على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية كان لها الأثر الفاعل في التوجه العلمي الجغرافي، فقد استخدمت الجغرافيا لتحقيق الأطماع السياسية والاقتصادية في النصف الأول من القرن الماضي (العشرين)، إلا أنه تم الرجوع إلى منطق العقل لإبعاد الجغرافيا عن تلك الأهداف.

ولكنّ الحقيقة والإنصاف يوجبان الاعتراف لكل من بيرنارد فيرانوس (ق ١٧م) وإيمانويل كانت (١٧٢٤-١٨٠٤)، بأنهما قد أسهما

في التطور الفكري للجغرافيا، فقد حاول "فيرانوس" بناء إطار جديد لمفهوم العلم عندما عَرّف الجغرافيا بأنها "ذلك القسم من المعرفة الذي يتكوّن من مزيج من الرياضيات التي تمكّننا من وصف الأرض وأقسامها بطريقة كميّة، وبهذا يكون قد أنتقل العلم من مرحلة الوصف إلى المرحلة الكميّة قبل الثورة الكمية التي شهدتها الجغرافيا بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان، كما أنه قد وضع الأسس الصحيحة لعناصر الدراسة الجغرافيةّ بالتفرقة بين منهجيّ بحثها : العام أو الأصوليّ (Systématique) والخاص أو الإقليميّ (Régional)، أي الجغرافيا العامّة الأصوليّة والجغرافيا الإقليميّ .

ومن الدراسات الجغرافية التى انتشرت فى مختلف المدارس الجغرافية وكان لها الفضل الأكبر فى لفت الأنظار إلى أهمية الجغرافيا بالنسبة للتخطيط بصفة عامة ما يعرف باستخدام الأرض Land Use . وكان من الرواد فى هذا المجال الجغرافى البريطاني ديدلى ستامب Dudly Stamp الذى عهد إليه بالإشراف على مسح بريطانيا من حيث استغلال الأراضي فى الثلاثينيات من القرن العشرين .

٩-التطورات المعاصرة لعلم الجغرافيا

فى العقدين الأخيرين وبعد استيعاب الجغرافيا للحركات المنهجية والفكرية الجديدة كالسلوكية والظاهراتية والبنيوية بدأت الجغرافيا تتفاعل مع معطيات الثورة المعلوماتية والتكنولوجية مما ترتب عليه إثراء نظرية المعرفة الجغرافية وتقدم طرق التقنية المستخدمة، وتتضح أبرز معالم هذا الإثراء والتقدم فى :

- الاتجاه نحو الأساليب الكمية فى الدراسات الجغرافية مستفيدة من التقدم الهائل فى علوم الحاسب والثورة المعلوماتية والكمبيوترية
- الاستفادة من تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية.
- ظهور جغرافيات جديدة تتلاءم مع الثورة المعرفية والاتجاه التطبيقي للجغرافيا، كجغرافية الانتخاب وجغرافية الترويح وجغرافيا السياحة، وجغرافيا الألعاب الرياضية وجغرافيا الخدمات، وجغرافية الجريمة والجغرافيا الطبية وغيرها .

- تغير النظرة إلى بعض المفاهيم الجغرافية كالحدود والسيادة والدولة وغيرها وظهور مفاهيم جديدة كالعالم متعدد الثقافات، والثروة العالمية، والإرهاب الدولي وغيرها
- وهكذا لم تعد الجغرافيا مجرد وصف للمعالم أو ثبت معلومات عن الأقاليم بل أصبحت نظاماً معرفياً مركباً يجمع بين نتائج العلوم الطبيعية والاجتماعية في قاعدة معلومات واسعة من البيانات التي تستخدم في دراسة العلاقات القائمة بين مختلف الظواهر الطبيعية والبشرية، للتوصل إلى حقائق وقواعد وقوانين عن تنظيم الإنسان للمكان، ولاستخدام تلك البيانات والقوانين في حل المشكلات .

١٠-الثورة الكمية

"تعد الثورة الكمية تطورا كبيرا وسريعا في مجال البحث الجغرافي، ففي أوائل الخمسينيات كان هناك تصور وشعور متزايد في البحث الجغرافي حول عدم كفاية الأساليب المستخدمة في تفسير الجوانب الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنظم الإيكولوجية المتصلة بالمكان، وقد أدت الثورة الكمية إلى تزايد استخدام التقنيات الإحصائية (الإحصاء الوصفي، الإستنتاجي، المعادلات الرياضية، النماذج الاحتمالية، وفي تحليلات خاصة متعددة المتغيرات مكنت هذه الثورة من استخدام الحاسوب في البحث الجغرافي نتج عنه استخدام نظم المعلومات الجغرافية، الاستشعار عن بعد، نظام المواقع العالمي (GPS) والإنترنت.

- **تنوع المواضيع :** تطرق الجغرافيون لموضوعات جديدة لم يتم بحثها من قبل ودخلت في مجال الجغرافيا العامة، وأصبحت تكون هذه فروعا جديدة (الجغرافيا الطبية، جغرافيا الأديان، جغرافيا السياحة، جغرافيا الجريمة).
- **تضييق المحتوى الجغرافي :** وذلك بعدم الاهتمام بكل الظواهر التي تقع ضمن إقليم واحد، والاقتصار على بعض الظواهر وتفضيل منهج الترابط بينها، لذلك ضاق النطاق بين الجغرافيا العامة والجغرافيا الإقليمية أو الجغرافيا الطبيعة والجغرافيا البشرية حسب الاتجاهات والمدارس المختلفة.

- **فقدان أهمية بعض المواضيع :** إن بعض موضوعات الجغرافيا كانت مهمة، لكن مع مرور الوقت فقدت أهميتها، لأنها لا تتناسب مع التوجهات الجغرافية الجديدة، فمثلا في موضوع التربة كانوا يهتمون بأصلها المادي ومكوناتها وتركيبها، وكانوا يعتقدون أن مثل هذه الدراسة حيوية بالنسبة لهم"، ولكن الاتجاه الجغرافي الحديث يرى أن الظروف الطبيعية وخاصة ما يرتبط منها بالزراعة لم تعد غاية في الأهمية كما كانت قبلا وإنما صار التركيز على المزارع من حيث الموضع (Site) والموقع (Situation) وعلاقة المزارع بالمباني السكنية والطرق والأسواق، من حيث القرب والبعد.

١١-التطورات المعاصرة في علم الجغرافيا

بعد أن أشرنا إلى أهم الفروع الجغرافية ينبغي لنا أن نشير إلى التطورات المعاصرة في علم الجغرافيا التي يمكن أن نوجزها كالآتي :

تتميز الجغرافيا المعاصرة بأنها ذات صبغة عالمية. ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة نذكر منها قيام الاتحاد الجغرافي الدولي الذي يعقد مؤتمراً كل أربع سنوات كما أن انتشار المجلات الجغرافية بسهولة يتيح انتشار الأفكار الجغرافية. أضف إلى ذلك سهولة انتقال المعلومات الجغرافية من قطر إلى آخر عن طريق الكتب ووسائل الإعلام والاتصالات المختلفة والتي من أحدثها شبكة "الإنترنت" والبريد الإلكتروني، ومما لا شك فيه أن لوسائل الإعلام المختلفة دوراً كبيراً في نشر الأفكار الحديثة والأبحاث الجغرافية مما يساعد إلى حد كبير على عالمية الفكر الجغرافي.

ويمكن إيجاز أهم ما شهدته الجغرافيا المعاصرة من تطورات فيما يلي:

١. **الاتجاه الكمي وميكنة أساليب البحث :** وهذا الاتجاه الجديد جاء نتيجة لانتشار الحاسبات الإلكترونية وما أحدثته من تطورات في العمليات الرياضية، مما سهل إجراء العمليات الرياضية المعقدة. ويطلق على دراسة استخدام الأساليب الكمية في مجال الدراسات الجغرافية (الجغرافيا الكمية) كما انتشر كذلك الاعتماد على الآلة وبعض برامج الحاسبات الآلية في رسم الخرائط، مما سهل إلى

حد كبير إجراء البحوث ومعالجة المعلومات الجغرافية الغزيرة والربط بينها في أوقات قصيرة نسبياً.

٢. **التصوير الجوي والاستشعار البعيد (Remote Sensing):** لقد أصبحت الصور الجوية إحدى الوسائل المهمة التي تعتمد عليها الدراسات الجغرافية المختلفة من طبيعية وبشرية، كما أن نجاح وسائل الاستشعار البعيد في تحديد أماكن المعادن المختلفة أسهم في إعداد خرائط الثروات المعدنية بصورة سريعة ودقيقة.

٣. **نظم المعلومات الجغرافية (GIS):** تعد نظم المعلومات الجغرافية من أكثر نظم الحاسب (الكمبيوتر) شهرة واستخداماً وكانت هذه النظم تعرف من قبل بنظم المعلومات الأرضية، ونظم المعلومات المكانية، إلا أن مصطلح نظم المعلومات الجغرافية لقي قبولاً كبيراً لدى الباحثين في السنوات الأخيرة. وتتميز نظم المعلومات الجغرافية بأنها تقنية حديثة ومتطورة تتيح جميع المعلومات المكانية وحفظها وترتيبها وتصنيفها وتسهل الربط بينها وتحليلها، وتفيد كثيراً في مجالات التخطيط العمراني وتمديدات المرافق العامة. وتعتمد نظم المعلومات الجغرافية على ثلاث أنماط من الخرائط هي: الخريطة الطبيعية، والخريطة البشرية، والخريطة التحليلية. ويقصد بالخريطة الطبيعية خريطة المظاهر التضاريسية المختلفة، والخريطة البشرية خريطة المنشآت التي أقامها الإنسان، أما الخريطة التحليلية فهي الخريطة التي تعتمد على الربط والتحليل بين الخريطتين السابقتين. وتتيح نظم المعلومات الجغرافية الدقة والسرعة في معالجة البيانات المختلفة فتوفر الوقت والجهد والمال.

٤. .تعدد الفروع الجغرافية المختلفة والدراسات التفصيلية : لقد تشعبت الفروع الجغرافية بشكل كبير، بحيث أصبحنا نسمع الآن عن الجغرافيا الطبية وجغرافية الطاقة، وجغرافية السياحة، والجغرافية العسكرية، والجغرافية السلوكية والجغرافيا اللغوية... وغيرها.

٥. كما أن الدراسات الجغرافية أصبحت تهتم بالتفاصيل الدقيقة، مثل دراسة مناخ مدينة معينة، أو دراسة استغلال الأرض في مساحة محدودة، وهكذا نجد أن الدراسات الجغرافية المعاصرة تسعى إلى التفاصيل الدقيقة وتنحي بصورة ملحوظة إلى المجالات التطبيقية.